الاستشــــراق

بين النشـــأة والأهـــداف

إعداد

الدكتور / إسماعيل عبد الفتاح مصطفى

المدرس بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـد

فإن ظاهرة الاستشراق ظاهرة فريدة ، حيث لم تشهد البشرية أن يجتمع أتباع ديانات مختلفة من أقطار مختلفة على دراسة دين – لا يؤمنون به – من جميع جوانبه ، وكذلك دراسة تاريخ أتباع هذا الدين ، وحالتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية ، وغيرها . وقد انقسم المفكرون العرب تجاه الاستشراق والمستشرقين إلى فريقين: فريق أفرط في الثناء ، وفريق أفرط في الذم . والإنصاف يقتضي القول : " إن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق ، يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال ، وما تطرقوا إليه من أبحاث ، ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1][2].

نعم كان للاستشراق والمستشرقين في دراساتهم عن الإسلام والمسلمين إيجابيات

١ – سورة المائدة من الآية :٨.

٢– الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . د/ مصطفى السباعي ص:١٥ .طبعة دار السلام – القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

وسلبيات ، ولكن الأعم الأغلب في دراساتهم هو الجانب السلبي ، وهذا الجانب يمثل العداء الفكري تجاه الإسلام ، وكان الهدف الأساسي من وراء هذا الجانب هو الكيد للإسلام وطمس حقائقه، وحجب نوره عن الناس، ولكن أنى لهم ذلك وقد تكفل الله تبارك وتعالى بحفظ هذا الدين القويم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [1].

والأمر الذي لا يمكن إنكاره أن الاستشراق كان له تأثيره القوي في واقع الأمة الإسلامية ، وقد آتى ثماره الخبيثة في مختلف مجالات الحياة الإسلامية .

ومن هنا تتضح أهمية هذا البحث ، لألقي من خلاله الضوء على هذا السلاح الذي استخدمه أعداء الإسلام لتحقيق مآربهم الخبيثة في الأمة الإسلامية .

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة ، وقد بينت في المقدمة أهمية الموضوع ، وتناولت في التمهيد مفهوم الاستشراق والمستشرق.

المبحث الأول : نشأة الاستشراق .

المبحث الثاني : تاريخ الاستشراق ومراحله.

المبحث الثالث : دوافع الاستـشراق .

المبحث الرابع : أهداف الاستشراق .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٢- ٣٣.

المبحث الخامس : وسائل الاستـشراق، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : تأليف الكتب .

المطلب الثاني: إصدار المجلات حول الإسلام وبلاده وشعوبه .

المطلب الثالث :عقد المؤتمرات الاستشراقية .

المطلب الرابع : إنشاء المتاحف الشرقية .

المطلب الخامس: إنشاء المؤسسات التعليمية وكراسي الدراسات العربية في الجامعات الغربية .

الخاتمة : وقد ضمنتها أهم النتائج والتوصيات .

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن ، وأن يعم به النفع ، وأن يجعله في ميزان حسنات والدي – رحمهما الله- ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

□

التمهيـــــد

مفهـــوم الاستشـــراق والمستشـــرق

من المعلوم لدى المحققين من الباحثين أن الوضوح والدقة في استخدام الألفاظ والعبارات من سمات المنهج العلمي السليم ، ومن ثم فقد حرص علماء المسلمين على تحديد المعاني المرادة من الألفاظ حتى لا يحدث تلاعب في المعاني والمصطلحات يخرجها عن المقصود منها في مجال البحث – عن قصد مبيت – أو عن غير قصد " كما هو الحال عند الكثير من الغربيين الدارسين للإسلام والمتعاملين مع قضايا الفكر الإسلامي ، فهولاء لهم من الاستخدامات الخبيثة للمصطلحات ما يجعلنا نقف هذه الوقفة الأولية لنبين خطورة استخدام المصطلحات في عالمنا المعاصر... بحيث لا يصار إلى التلاعب بها والتركيز عليها لتسريب مفاهيم خاطئة من خلال استخداماتها السيئة ، وهو مطلب من صميم المنهجية العلمية السليمة التي سار عليها أسلافنا وأسسوا من خلالها تراثاً فكرياً عظيماً لا زال العالم يعيش على آثاره "[١] .

وهكذا يتبين أن تحديد المصطلحات ضرورة علمية أكدت عليها الدراسات المنهجية المعاصرة[٢] .

ومن المصطلحات التي سنتعرض لها بالتعريف ما يلي: الاستشراق – المستشرق .

---

(١) الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون . د/ محمد فتح الله الزيادى . ص:١٤-١٥ طبعه دار قتيبة – ليبيا- . ط الأولى ١٩٩٨م .

(٢) انظر : علم المناهج المقارن . د/ حسن أحمد كامل . ص :٤١ – ٤٢ . طبعة مكتبة النهر الخالد – ليبيا -١٩٩٣م.

أولا : تعـريف الاسـتشراق .

أ – فـي اللغــة : مما تجدر الإشارة إليه أن كلمة الاستشراق التي نبحث عن مفهومها اللغوي بمعناها المعهود في هذه الدراسات لم ترد في المعاجم العربية القديمة ، ولا يمنعنا هذا من الوقوف على المعنى الحقيقي لهذه الكلمة استناداً إلى قواعد اللغة العربية (قواعد الصرف وعلم الاشتقاق).

وردت مادة الكلمة (ش ر ق) في لغة العرب على العديد من المعاني ، ومن أبرز تلك المعاني : جهة المشرق . جاء في المعجم الوسيط : " والمشارقة سكان المشرق وأحدهم مشرقى ... المشرق جهة شروق الشمس ، والبلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية" (١).

ويقال : " استشرق : طلب علوم الشرق ولغاتهم .. يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة " (٢).

ومن خلال ما سبق يتضح أن كلمة استشرق مشتقة من الفعل : [شرق] وهى جهة الشرق ، وأضيفت إليها الألف والسين والتاء لتدل على الطلب ، فيقال استشرق . أى : طلب الشرق بكل ما فيه .. ومن هنا فإن كلمه : (استشراق) تدل على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية مختلفة .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : ماذا يقصد بالشرق الذى تكالب المستشرقون على دراسته ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول: إن مفهوم الشرق ليس مفهوماً جغرافياً على

---

(١) – المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . ص : ٤٨٠ القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ.

(٢) – معجم متن اللغة . أحمد رضا : ٣/ ٣١١ . طبعة دار الحياة – بيروت ١٩٥٨ م .

الإطلاق ، وإنما هو مفهوم ثقافي حضاري . لأن تحديد الشرق جغرافياً يختلف من جهة لأخرى ، فالشرق بالنسبة للألماني هو غير الشرق بالنسبة للهولندى وهكذا. [١]

ولعل أفضل ما وقفت عليه في تفسير كلمتي الشرق والغرب حضاريًا ما قاله بعض الباحثين : (أما الغرب : فهو اصطلاح حديث جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأوروبيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب ، يعنون بالغرب أنفسهم ، ويعنون بالشرق أهل آسيا وإفريقية الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم ، وجرينا نحن على هذا الاستعمال .

والكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحًا واستعمالًا فهي قديمة في مفهومها ودلالتها، فقد كان في العالم من زمن قديم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة ، إحداهما في الشرق ، والأخرى في الغرب ، تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والروم ، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبيين ، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوروبيين مدًا وجزرًا .

ثم كان آخر فصول هذه الملحمة الصلات بين الشرق ممثلاً في آسيا وإفريقية ، وبين الغرب ممثلاً في أوروبا وأمريكا .[٢]

---

(١) انظر : الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية . رودى بارت . ترجمة الأستاذ . مصطفى ماهر : ص : ١١ طبعة دار الكتاب العربى ١٩٦٧ م. وانظر : الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي . د / محمد إبراهيم الفيومي . ص : ١٢ – ١٣ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية . د/ محمد محمد حسين . ص : ١١ ، طبعة دار الإرشاد – بيروت . الطبعة الأولى ١٩٦٩ م.

وهذا التفسير يجمع بين المدلول التاريخي والحضاري ، وبين المدلول الحديث للكلمة .

ومن هنا يمكننا أن نقف على مدلول مصطلح الاستشراق فهو : طلب الشرق الذى هو آسيا وإفريقيا من قبل الغرب الذى هو أوروبا وأمريكا [١].

وهكذا جرى العرف الاستشراقي على إطلاق الشرق على دول الإسلام ، فالإسلام – عندهم – دائماً هو الشرق [٢].

ب ـ تعريف الاستشراق في الاصطلاح :ـ

اختلف الباحثون في تعريف الاستشراق اختلافاً كبيراً تبعاً لتنوع موضوعاته ، أو لاختلاف توجهات باحثيه ومؤرخيه ومن هذه التعريفات ، تعريف عام والآخر خاص .

فالتعريف العام كما عرفه د/ محمود حمدي زقزوق بأنه "علم الشرق ، أو علم العالم الشرقى ".[٣]

أما الاستشراق بمفهومه الخاص فهو " الدراسات الغربية الخاصة المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام ".[٤] ،

والاستشراق بهذا المفهوم الخاص هو الذي أعنيه في هذا البحث .

---

(١) انظر : الاستشراق أهدافه ووسائله . د / محمد فتح الله الزيادى . ص : ١٨ .

(٢) انظر : الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامى . د/ محمد إبراهيم الفيومى . ص : ١٣ .

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . د/ محمود حمدى زقزوق .ص:٢٤،. طبعه دار المنار .ط .الثانية ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م .

(٤) السابق .ص: ٢٤ .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الاستشراق في دراسته للإسلام – في الأعم الأغلب – ليس علماً بأي مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن "أيديولوجية " خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام ، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات.(١)

ثانياً – تعـريف المسـتشرق :

تعددت اتجاهات الباحثين في تحديد مصطلح المستشرق فمن ذلك ما يلي :

أ- كلمة "مستشرق" بالمعنى العام : تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله : أقصاه ووسطه وأدناه ، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه . (٢)

ب- عرفه بعض الباحثين بقوله :" تطلق كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد ". (٣)

جـ- عرفه المستشرق الإنجليزي آربري بقوله : " إن المستشرق هو من تبحر فى لغات الشرق وآدابه ". (٤)

د- عرفه مالك بن نبي (٥) بقوله : " إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون

---

(١) السابق .ص: ١٢ .

(٢) السابق . ص:١٨.

(٣) جهود المستشرقين في التراث العربي . محمد عونى عبد الرؤوف .ص: ٣ ، طبعة المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٤م.

(٤) المستشرقون البريطانيون .آربري .ترجمة .محمد الدسوقى. ص:٧-٨ (بدون) .

(٥) مالك بن بني : مفكر إسلامي جزائري. ولد بها في مدينة قسنطينة. ودرس القضاء في المعهد =

عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية ". [١]

هـ - وقيل : هو الذي يدرس تراث الشرق، وكل ما يتعلق بتاريخه، وآدابه، وفنونه، وعلومه وتقاليده وعاداته . [٢]

و- وقيل : "هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية ... ولابد أن ينتمي هذا العالم إلى الغرب [٣] ، ووفقاً لهذا التعريف فلا يعد العرب غير المسلمين ممن اشتغلوا بعلوم المسلمين من المستشرقين .

ويبدو لي – بعد الدراسة والاستقصاء – أن الباحثين اختلفوا في هوية المستشرق فمنهم من أطلق كلمة مستشرق على كل من تخصص في دراسة الشرق سواء أكان عربيًا أم غير عربي ، ومنهم من أخرج الشرقي من دائرة المستشرقين باعتبار أنه غير غريب على الشرق فهو شرقي بحكم مولده وبيئته وحضارته . وهذا الرأي الأخير هو الذي تميل إليه

= الاسلامي المختلط، وزار مكة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو ٣٠ كتابا جلها مطبوع.، ترجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الاسلامية، بالقاهرة. وتوفي ببلده .الأعلام ، للزركلي : ٥ / ٢٦٦ ،طبعة دار العلم للملايين ٢٠٠٢م .

(١) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. مالك بن نبي .ص:٥ . طبعة دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع . ط. الأولى ١٩٦٩م.

(٢) المستشرقون والدراسات القرآنية .د/ محمد حسين علي . ص : ١٠، طبعة دار المؤرخ العربي – بيروت . ط. الأولى ١٤٢٠هـ .

(٣) المستشرقون والتاريخ الإسلامي .د/ علي حسن الخربوطلي .ص:٢٥-٢٦، .طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (بدون).

النفس فالمستشرق " لابد أن يكون غربياً ، ولافرق بين أن يكون نصرانياً أو يهودياً ، أو مسلما، أو ملحداً ينكر الدين من أصله، وإن كان السواد الأعظم ممن ركب حركة الاستشراق من غير المسلمين ، المهم أنه عالم غربي يطلب دراسة علوم الشرق خاصة الشرق الإسلامي العربي ".[1]

---

(١) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل . د/ إسماعيل على محمد .ص:١٢-١٣، ط.الأولى ١٩٩٨م .

المبحـــث الأول
نشـــأة الاســـتشراق

إن البداية الحقيقية المنظمة لنشأة الدراسات الاستشراقية محل خلاف وجدل بين الباحثين والمؤرخين ، فالمصادر التي تعرضت لهذا الموضوع تختلف في تحديد البدايات التاريخية للدراسات الاستشراقية .

وعلى الرغم من اختلاف الباحثين حول تحديد الفترة الزمنية لبداية الاستشراق ، إلا أنه قد ظهرت عدة محاولات لتحديد البدايات الأولى لظهور الاستشراق ، منها :

١ - يرى بعضهم " أن ظهور الدراسات الاستشراقية يعود إلى تاريخ دخول المسلمين إلى إسبانيا وجنوب إيطاليا وصقلية في العصور الوسطى ، وهذا الأمر لفت أنظار أهل تلك البلاد إلى أحوال المسلمين وإلى الحركة الإسلامية ، فعكفوا على دراسة أحوال المسلمين، وتاريخ الدعوة الإسلامية ، وأهدافها ، لذلك يمكن القول: إن الدراسات الاستشراقية بدأت منذ ذلك الزمن "(١).

قول الدكتور / مصطفى السباعي (٢) : " لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا فى أي وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين

---

(١) الإسلام والمستشرقون . د/عبد الجليل شلبي . ص:٢٧-٢٨ ، طبعة دار الشعب القاهرة ١٩٧٧م .

(٢) مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي: عالم إسلامي، من خطباء الكتاب. ولد بحمص (في سورية) ، وتعلم بها وبالأزهر ، وأنشأ مجلة (حضارة الاسلام) ، ونشر من تأليفه ٢١ كتابا ورسالة، منها (السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي) وتوفى بدمشق انظر: الأعلام . للزركلي :٧ / ٢٣١-٢٣٢ .

قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم خاصة في الفلسفة والطب والرياضيات "(١).

٢ – يرى بعضهم : أنه بدأ بمحاولات فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي (٢).

٣ – يذهب بعض الباحثين إلى أنه بدأ في القرن الحادي عشر الميلادي(٣).

٤ – يذهب المستشرق الألماني رودى بارت إلى أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، يقول بارت : " إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطور الاستشراق ولم يتردد في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح ، فإنه يستطيع أن يقول : إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، ففي عام (٥٢٨ هـ -١١٤٣م) تمت ترجمة معاني القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فنيرابيليس رئيس دير كلوني وكان ذلك على أرض إسبانية "(٤).

٥ – يرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى القرن الثالث عشر الميلادي (٥).

---

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . د/ مصطفى السباعي . ص:١٥ طبعة دار السلام . الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٢) السابق نفس الصفحة .

(٣) المستشرقون . نجيب العفيفي : ١/ ١١٠-١١١.

(٤) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية . رودى بارت . ترجمة : مصطفى ماهر . ص:٩ . طبعة دار الكتاب العربي (د.ت).

(٥) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. د/ محمد البهي .ص: ٤٢٩.ط. التاسعة ١٤٠١ هـ .

٦ – يرى البعض أن تاريخ نشأة الاستشراق يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي . يقول الدكتور/ علي إبراهيم النملة: " والذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق تحديداً علمياً قائماً على واقعة علمية يعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة ٧١٢هـ ١٣١١-١٣١٢م حينما عقد مجمع فينا الكنسي ونادى بإنشاء كراس للغات العبرية والعربية والسريانية في روما على نفقة رجال الدين فيها، وتم إنشاء الكراسي ونشطت الدراسات الاستشراقية فدرست اللغة العربية وعلوم المسلمين ، وترجمت الكتب من العربية إلى اللاتينية ترجمة علمية (١). ويردد هذا الرأي كثير ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق " (٢).

٧ – ويرى بعض الباحثين أن بداية نشأة الاستشراق كانت في القرن السادس عشر الميلادي ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : " إن تاريخ هذا الاستشراق قديم يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي بالوضوح والعوامل التي كونت هذا التاريخ .. " (٣).

٨- ويذهب آخرون إلى أن تاريخ نشأة الاستشراق يرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي حيث ظهر أول استعمال لكلمة مستشرق عام ١٦٣٠م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، وفى سنة ١٦٩١م وجدنا (أنتوني وود) يصف (صموئيل كلارك) بأنه استشراقي نابه ، يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية (٤).

---

(١) انظر : المستشرقون . نجيب العقيقي :١/ ١٢٢.

(٢) كنه الاستشراق . د/ على إبراهيم النملة . ص :٣٧- ٣٨ ط. ١٤٢١هـ (بدون).

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية . أبوالحسن الندوى .ص:١٧٩. الطبعة الثالثة (بدون) .

(٤) الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي .د/ أحمد عبدالرحيم السايح .ص :١٩ ط. الدار المصرية اللبنانية .ط الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م .

٩- يذهب بعض الباحثين إلى أن تاريخ نشأة الاستشراق يرجع إلى أواخر القرن الثامن عشر . حيث ظهر مصطلح (مستشرق) في اللغة الإنجليزية حوالي عام ١٧٧٩م . كما ظهر هذا المصطلح في معجم الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م(١).

ويرى بعض الباحثين أن بداية الاستشراق كانت مع حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م ، حينما قدم عدد كبير من العلماء في جميع فروع المعرفة مع نابليون ، الذي اصطحب معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة .

١٠ – يذهب د/ أحمد سمايلوفتش إلى أن ميلاد الاستشراق حينما التقى الأوروبيون بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضاراتهم ، وظلت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكوين صرحها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. (٢)

وهناك فريق من الباحثين يرى " أن الاستشراق يعتبر نتيجة من نتائج الحروب الصليبية ، ذلك أن هذه الحروب كانت آخر مراحل الصراع الديني المسلح بين المسلمين والمسيحيين ، وأن هؤلاء ربما اقتنعوا بأنه لا يمكن الانتصارعلى المسلمين عسكرياً وهم متمسكون بدينهم .

ولكى يتم قهرهم والسيطرة عليهم يجب الفصل بينهم وبين دينهم عن طريق ما عرف فيما بعد بالغزو الفكري الذي كان الاستشراق أحد أهم مظاهره ، ونتيجة لهذه القناعة تولت الكنيسة هذا العمل وقامت برعاية كل الجهود الرامية إلى تعلم العربية وفهم

(١) انظر: تراث الإسلام . شاخت وبزورث. ترجمة.د/ محمد زهير السمهورى : ١/ ٧٨ سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٧٨م .

(٢) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر . د/ أحمد سمايلوفتش . ص : ٧٠.

الدين الإسلامي وهي الجهود التي تطورت بعد ذلك لتكون حركة الاستشراق "[١] .

هذه هي مجمل آراء الباحثين والمؤرخين في بداية تاريخ الاستشراق، غير أنه يجب علينا أن نفرق بين أمرين في غاية الأهمية والخطورة.

الأمر الأول : التفكير الجدي في توجية كتابات معادية للإسلام بوجه عام .

الأمر الثاني : تاريخ الاستشراق كحركة منظمة لها مناهجها ووسائلها وأساليبها ومؤسساتها ورجالها ومدارسها .

أما الأمر الأول: فقد بدأ منذ عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما هاجر إلى المدينة المنورة ، وكان الاحتكاك باليهود أولاً ، وما أظهروه من أوجه العداء للإسلام والمسلمين ، ومحاولة القضاء على هذا الدين ورسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – كلما أتيحت لهم الفرصة ، والنماذج في التاريخ الإسلامي يضيق المقام عن حصرها ، هذا أولاً .

ثانياً : عندما وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – كتبه إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام ، ومنها كتابه – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل عظيم الروم ونصه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين [٢] و ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ

(١) الاستشراق أهدافه ووسائله . د/ محمد فتح الله الزيادي . ص: ٢٥.

(٢) الأريسيون : جمع أريسي ، وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل ، قال بن سيده : الأريس الأكار، أي الفلاح ، وقيل: هو الأمير، وقيل: إن الأريسيين ينسبون إلى عبد الله بن أريس ، رجل كان تعظمه النصارى، ابتدع في دينهم أشياء مخالفة لدين عيسى– عليه السلام– ، وقيل: إنه من قوم =

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

ولا ريب أن هذا الكتاب الموجه إلى ملك بني الأصفر قد استرعى انتباهه هو وكبراء حاشيته وفيهم القساوسة والرهبان ، وقد وقف هرقل أمام هذا الكتاب طويلاً متفكراً ومتأملاً هل يدخل في هذا الدين أم لا ؟

أما بالنسبة للقساوسة والرهبان فلا ريب أن الأمر كان مختلفاً بالنسبة إليهم ، فمما لاشك فيه أنهم قد وجهوا إلى أهل ملتهم كتباً يحذرون فيها من هذا الدين عن طريق إيراد أشياء تحمل الدس والطعن في هذا الدين ، حتى ولو لم يصلنا شئ من تلك الكتب.

ونستطيع أن نبرهن على صحة ما ذهبنا إليه من خلال حديث هرقل مع أبي سفيان والذي أورده الإمام البخاري في صحيحه – وقد ورد هذا الحدث في مرحلة تالية بعد ما أرسل النبى – صلى الله عليه وسلم – كتابه إلى هرقل .

لذا سأورد هذا الحديث بطوله ، لنأخذ منه بعض الفقرات التي تبرهن على صحة ما ذهبنا إليه من توجيه كتب من القساوسة والرهبان إلى بني جلدتهم يحذرونهم فيها من هذا الدين – ولا ريب – أن تلك الكتابات كانت بمثابة البذرة الأولى للاستشراق.

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – " أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في

= بعث إليهم نبي فقتلوه . انظر: فتح الباري – لابن حجر : ١ / ٣٩ ، ٨ / ٢٢١ طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ .(بتصرف) .

(١) سورة آل عمران الآية:٦٤.

المدة التي كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ماد (١) فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإلياء ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه : فقال :أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً ، فقال: أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه . فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه . ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا ، فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت: بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت: بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا . ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة .قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال : للترجمان قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت : رجل يأتسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا

---

(١) ماد فيها أبا سفيان بتشديد الدال أي جعل بينه وبينه مدة صلح . فتح الباري . لابن حجر : ١ / ١٨٦ .

، قلت : فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف . فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم. أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب ،

(١) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابى حين أخرجنا : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناطور- صاحب إيلياء وهرقل – سقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيأتك

قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أُتِيَ هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، كان نظيره في العلم، وسارهرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنه نبي ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة [1] له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي، وقال : إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت ، فسجدوا له ، ورضوا عنه ،

---

(١) الدسكرة : بناء كالقصر انظر: فتح الباري – ابن حجر : ١ / ١١٧

فكان ذلك آخر شأن هرقل "[١].

هذا هو نص الحديث – ونستطيع أن نقف من خلاله على النقاط التالية :

أولاً : أن هرقل وهو ملك الروم كان على يقين من بعثة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ففي نهاية حديثه مع أبي سفيان قال له :" فإن كان ما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أعلم أنه منكم .

ثانياً : أن هرقل عندما جمع عظماء الروم – وفيهم القساوسة والرهبان وكبار رجال الدولة وعرض عليهم أن يبايعوا النبي – صلى الله عليه وسلم – نفروا من ذلك نفوراً شديداً ، "حاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ".

ولا ريب أنه سيكون من هؤلاء البطارقة والقسس من سيكتب كتاباً أو رسالة يحذر فيها بني قومه من الإيمان برسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا سيما بعدما رأوا من أمر هرقل ما أفزعهم وحيرهم حتى إن بعضهم خرج من برنسه [٢] ، من شدة حيرته [٣].

– أما الأمر الثاني : وهو تاريخ الاستشراق كحركة منظمة لها مناهجها ووسائلها وأساليبها ومؤسساتها ورجالها . فقد كان ذلك حين جاء القرن الثامن عشر الميلادي ، وبدأ الغرب باستعمار العالم الإسلامي - هنا - ظهر الاتجاه الحقيقي والمنظم للاستشراق . وهذا ما سأتحدث عنه بالتفصيل عند الحديث عن مراحل الاستشراق .

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب بدء الوحي . باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ١ / ٧ صحيح البخاري طبعة دار ابن كثير بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

(٢) البرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به وقلنسوة طويلة ورداء ذو كمين يلبس بعد الاستحمام ، انظر :المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى وآخرون ١ / ٥٢ ، طبعة دار الدعوة – القاهرة (د ت)

(٣) انظر : فتح الباري . لابن حجر : ١/ ٥٧ طبعة المكتبة السلفية – القاهرة . ط . الثالثة. ١٤٠٧هـ

المبحــث الثانــي

تاريــخ الاســتشراق ومراحلــه

رغم اختلاف الباحثين في تحديد البداية الحقيقية للاستشراق إلا أنه يمكن تقسيم تاريخ الاستشراق إلى عدة مراحل أو فترات تاريخية على النحو التالي :

١ – المرحلة الأولى : تبدأ بعد فتح الأندلس ، وازدهار الحياة العلمية فيها ، وكذلك جزر البحر المتوسط ، وجنوب إيطاليا ، وتنتهي هذه المرحلة بانتهاء الحروب الصليبية .

٢ – المرحلة الثانية : تبدأ بعد الحروب الصليبية ، وتمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً .

٣ – المرحلة الثالثة : بدأت في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي على وجه التقريب، واستمرت إلى نهاية الحرب العالمية الثانية .

٤ – المرحلة الرابعة : بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وما زالت مستمرة حتى الآن [١] .

أما المرحلة الأولى : فكانت بمثابة بداية تَعَرُّف أوروبا على الشرق وحضارته ، أو على حد تعبير أحد الباحثين : مرحلة الانبهار بالحضارة العربية والاتجاه إليها .[٢]

وفي تلك المرحلة كانت أوروبا غارقة في ظلمات التخلف والجهل ، (حيث كانت تعيش حياة همجية يائسة في ظلال كنيسة متسلطة مستبدة)[٣] ، فأخذت شعوب أوروبا تبحث عن أسباب نهضة المسلمين وأسباب مجدهم وقوتهم وتفوقهم ووصولهم إلى مراكز

---

(١) خصائص الاستشراق في مرحلته الثالثة . د / محمد الدسوقي . ص : ٧٥ (بدون) .

(٢) ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها . د/ محمد فتح الله الزياد . ص : ٦٣ .

(٣) الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي . د / أحمد عبد الرحيم السايح . ص : ٢٢ .

القيادة والريادة في العالم الذي كان معروفاً آنذاك .

" فبدأوا يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به هذا التيار الجديد ، أو يكتسبون من علومه ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم وجهلهم " (١) ، ولما كانت الحركة الاستشراقية قد بدأت أولى خطواتها في رعاية الكنيسة ، وكان الجيل الأول من المستشرقين من الرهبان والقساوسة ، فقد اتجه بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس " إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ، ومن أوائل هؤلاء الرهبان ، الراهب الفرنسي " جربرت (٢) " الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، و" بطرس (٣) – الذى يسميه قومه بالمحترم – ١٠٩٢ – ١١٥٦ "، و" جيراردى كريمون ١١١٤ (٤). – ١١٨٧ "

---

(١) الاستشراق . محمد فتح الله الزيادى .ص : ٢٥ – ٢٦.

(٢) جربر دي أورالياك (٩٣٨-١٠٠٣م) قصد الأندلس وتعلم في مدارس أشبيلية وقرطبة ، حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية ، ولما رجع إلى روما انتخب حبرا أعظم ، فكان أول بابا فرنسي ، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين الأولى في روما مقر خلافته والثانية في وطنه فرنسا ، انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي : ١/ ١٢٠.

(٣) بطرس المحترم : راهب فرنسي تولى رئاسة دير كلوني عام ١١٢٢م اهتم بأحوال المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين في أسبانيا، ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية ،وألف كتبا في الرد على الإسلام . انظر: موسوعة المستشرقين. د/ عبد الرحمن بدوي ص:١١٠-١١١.

(٤) جيرار دي كريمونا (١١١٤-١١٨٧م) مستشرق إيطالي ، قصد طليطلة وتعلم في مدارسها حتى برع في اللغة العربية ، وعكف على مصنفاتها ، فترجم منها ما لا يقل عن سبعة وثمانين كتابا في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك ، فمهدت مع مثيلاتها إلى انتشار العلوم في أوروبا ، =

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ، ومؤلفات أشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادوي) العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية ... واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون" (١).

ومن هنا يمكننا القول : إن المرحلة الأولى للاستشراق كانت بحق مرحلة التلمذة والأخذ عن المسلمين .

أبرز سمات هذه المرحلة :

١ - ترجمة الكثير من أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ " (٢) ، وقد قام رئيس أساقفة طليطلة (رايموندو الأول) بإنشاء مكتب المترجمين عام ١١٣٠ م وعن طريق هذا المكتب تم ترجمة الكثير من الكتب العربية والإسلامية في ميدان الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة "(٣).

٢ - في هذه المرحلة ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم على يد الراهب الإنجليزي المدعو (هرمان) (٤) عام ١١٤٣م ، ويقال : إن أول من قام بترجمة للقرآن هو الإنجليزي

= وتوثيق صلتها بالشرق ، وتوفي في طليطلة . انظر : المستشرقون . نجيب العقيقي ١/ ١٢٦-١٢٧.

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . د/ مصطفى السباعي . ص : ١٥ – ١٦ .

(٢) انظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . د/ مصطفى السباعي . ص : ١٦.

(٣) انظر المستشرقون : نجيب العقيقي : ١/ ٩٩ طبعة دار المعارف القاهرة . ط الثالثة ١٩٤٦م .

(٤) هرمان الدلماطي: قصد الأنلس ، وتثقف بالثقافة العربية ، واشترك مع روبرت أوف تشستر في =

(روبرت أوف كيتون) بتشجيع ورعاية الكنيسة في أوروبا وبتحريض من بطرس الراهب ، وكانت هذه الترجمة إلى اللاتينية .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الترجمة لم تظهر إلى حيز الوجود نظراً لخوف الكنيسة من تأثيرها في الرأي العام المسيحي بما تعطيه من مفاهيم إسلامية ربما تساعد في انتشار الإسلام بين المسيحيين ، ولذلك ظلت هذه الترجمة حبيسة دير (كلوني) بجنوب فرنسا ولم تظهر إلا سنة ١٥٤٣م [١].

أما المرحلة الثانية : تبدأ بعد الحروب الصليبية وتمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً ، فقد كانت بداية الهجوم الفكري على الإسلام والمسلمين .

فعند ما باءت الحروب الصليبية بالفشل "كانت عظة هذه الحروب فى نفوس الصليبيين وجوب تحويل المعركة مع المسلمين من حرب سافرة مسلحة توقظهم من سباتهم ، وتعيدهم إلى أسس دينهم ، وتحيي فيهم روح الجهاد في سبيل الله ، إلى حرب مقنعة يدخل في حسابها الغزو الفكري والنفسي والخلقي ، والغزو الحضاري والمدني والاقتصادي ، وأخذ مفكروهم يضعون الخطط لتنفيذ هذه الحروب المقنعة . وبدأ جنود هذه الحروب القادمون بأقنعة شتى ينفذون خططها بكل مكر ودهاء وخبث ، متسترين

= ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ، فأتماها عام ١١٤٣م ، وتوفي عام ١١٧٢م. انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي : ١/ ١٢٤.

(١) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم . د / محمد صالح البنداق . ص :٩٠ طبعة دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٨٠ م ، وانظر : ظاهرة انتشار الإسلام . د/ محمد فتح الله الزيادي . ص : ٦٥ . انظر: الاستشراق وتاريخ الإسلام . د / فاروق عمر فوزى . ص : ٩٩ . طبعة الدار الأهلية بعمان – الأردن .

بالعلم أو بالتجارة ، أو بالصناعة أو بتحسين مظاهر المدنية ، أو بالتعاون والمحبة الإنسانية ، أو بالطب والمستشفيات ، أو بالخبرات الفنية في مختلف مجالات الحياة "(١).

وعلى أثر ذلك بدأت حركة جادة من الرهبان لتعلم اللغات الشرقية خاصة اللغة العربية ، "وقضى مجمع فينا سنة ١٣١١م ، أن تؤسس في باريس ، وغيرها ، دروس عربية وعبرانية وكلدانية (٢).

وهي ما عرفت بكراسي الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية" ثم تبع ذلك تأسيس المعاهد التي أنيط بها حمل أعباء الدراسات العربية .. وتبع ذلك بدء الأديرة في دراسة المؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية ، ثم أخذت الجامعات الغربية تعتمد على كتب المسلمين وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة "(٣).

ومن أهم ما يمكن أن نميز به هذه المرحلة ما يلى :

١ – " أن الاستشراق لم يستطع أن يغزو العقلية الإسلامية بما سطره من أباطيل، وإن كان قد نجح في اختراع الاتهامات ضد الإسلام والمسلمين والترويج لها بين الأوروبيين ، فأورثهم بذلك حقدًا على هذا الدين وأهله ، وتشويها لحقائقه وتاريخه حتى بين كبار المفكرين منهم ، فمارتن لوثر وهو من زعماء الإصلاح في عصر النهضة ينتقد

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .ص:٢٣-٢٤ ط. دار القلم . دمشق ط. الثامنة ٢٠٠٠م .

(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري للإسلام . د/ على جريشة وآخر . ص :١٩ .ط ،دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧م . (بتصرف) .

(٣) ظاهرة انتشار الإسلام . د/ محمد فتح الله الزيادي . ص: ٦٧ ، والاستشراق والمستشرقون ماهم وما عليهم . د/ مصطفى السباعي . ص : ١٦ .

الإسلام انتقاداً لاذعاً في مقدمة الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم التي قام بها "روبرت تشستر" [١]. ، ويصف نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم – بما وصفه به الرهبان في العصور الوسطى، فهو في نظره رجل لا يتعاطى إلا اللذات الشهوانية ، ولا يمثل فضيلة من الفضائل الإنسانية .

٢ – عكف المستشرقون في هذه المرحلة على دراسة الشرق دون تنظيم أو تعاون وتنسيق بينهم – فهو نشاط فردى غالبًا – وإن كان للكنيسة دورها في التوجيه العام لهذا النشاط .

٣ – لم يكن النشاط الاستشراقي في هذه المرحلة قد شمل كل دول أوروبا بدرجة سواء ، فقد كانت دول غرب أوروبا أسبق من سواها في هذا النشاط ، فألمانيا مثلاً لم تكن كفرنسا أو إيطاليا في الاهتمام بالدراسات الشرقية "[٢] .

أما المرحلة الثالثة : بدأت من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي على وجه التقريب ، واستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م ، فتعتبر هذه المرحلة من أهم وأخطر مراحل الاستشراق .

" فحين جاء القرن الثامن عشر الميلادي – وهو الوقت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته – ظهر الاتجاه الحقيقي والمنظم للاستشراق ، فبعد أن كان الاستشراق في أحضان الكنيسة دفعًا ودعمًا وتخطيطاً ، دخل

---

(١) روبرت أوف تشستر: من أهالي كيتون ، تلقى العلم في تشستر ونسب إليها ، وقصد الأنلس ، وتثقف بالثقافة العربية ، واشترك مع هرمان الدلماطي في ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ، فأتماها عام ١١٤٣م . انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي :١/ ١٢٣-١٢٤.

(٢) انظر : الاستشراق في مرحلته الثالثة . د/ محمد دسوقي . ص : ٧٨-٨٠ بدون .

الاستعمار الأوروبي بديلاً للكنيسة في رعاية جهود المستشرقين والتخطيط لها ، وذلك لما رآه من حاجة ماسة إلى الدراسات الاستشراقية التي تعين في التمهيد لحركة الاستعمار الأوروبي للعالم الشرقي ، وكذلك تساعد في تثبيت دعائم الاستعمار داخل الأوطان ، وكان لهذا التحول أثر في ظهور الاستشراق كمؤسسة غربية تهدف السيطرة على الشرق ، ونتيجة لذلك شهدت هذه المرحلة نشاطاً مكثفاً من قبل المستشرقين "[١].

* وأهم ما يمكن أن نرصده ونلحظه في هذه المرحلة الأمور التالية:

١ - استطاع الاستشراق أن يقوم بدوره خير قيام في خدمة السياسة الاستعمارية ، وتوطدت العلاقة بينهما حتى أصبح الاستشراق يمثل الطريق العلمي لاحتلال الشعوب الإسلامية ، وأضحى المستشرقون يعملون – بوجه عام – كموظفين في دوائر الاستخبارات في وزارتي الخارجية والمستعمرات ، وكانوا مستشارين لدولهم فيما يتعلق بمواقفها السياسية والحربية من الدول الإسلامية "[٢] .

٢ - إن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار من الحقائق التاريخية التى لا ريب فيها ، فقد كان الاستشراق " خادما للاستعمار العسكري ، بل هو امتداد للحروب الصليبية التي لم تنته ، بل تحرص على اتخاذ أشكال مختلفة للسيطرة على الشرق خاصة الإسلامي ، لغزو عقول المسلمين ، وتسميم أفكارهم ، وتحريف معتقداتهم ، والتشكيك في ثوابتهم ، وتغيير عاداتهم وتقاليدهم ، وصرفهم عن التمسك بدينهم وأخلاقهم ، فلا تكون لهم وحدة ولا قوة ، بل يظلون تابعين للغرب ، مقلدين له في

---

(١) الاستشراق . د/ محمد فتح الله الزيادى . ص : ٢٨ .

(٢) الاستشراق . د / محمد الدسوقي . ص : ٧٧ (بدون) .

كل شيء " جهود الغربيين في العالم الإسلامي وكيفية مواجهتها . د/ سعيد إسماعيل الصاوي . ص: ٢٤٦-٢٤٧. الطبعة الثانية ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م (دون إشارة لجهة الطبع) .

وهكذا نجح الاستعمار في توظيف المؤسسة الاستشراقية الغربية في خدمة أغراضه ، وتحقيق أهدافه الخبيثة في بلاد المسلمين . "وقد نشأ رباط رسمي وثيق بين هاتين المؤسستين مؤسسة الاستعمار ، ومؤسسة الاستشراق وقد خاض في هذا معظم المستشرقين الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكون عملهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه ، وهذا عمل يشعر إزاءه المستشرقون المنصفون بالخجل والعار، وفي ذلك يقول المستشرق الألماني المعاصر(استيفان فيلد) : " والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين ، وهذا واقع مؤلم ، لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة " (١).

وهكذا يبدو جلياً أن المستشرقين من القرن الثامن عشر الميلادي إلى القرن العشرين الميلادي كانوا أخطر وسائل الاحتلال ، وأنهم درسوا الشعوب الإسلامية دراسة شاملة ، ليقدموا للقادة العسكريين كل أسباب النصر على هذه الشعوب ، وهم في سبيل ذلك لا يقيمون وزناً للموضوعية ولا للأمانة العلمية .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . د / محمود حمدي زقزوق . ص : ٤٧ ط . دار المعارف (بدون) . والاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي . د / محمد عبد الله الشرقاوي . ص : ٢٢ . وانظر : الإسلام في الفكر الغربي . د / محمود حمدي زقزوق . ص : ٦٠ .

ومن سمات هذه المرحلة :

١ - إنشاء الجمعيات الاستشراقية في مختلف بلدان أوروبا ، هذه الجمعيات كانت تدعو إلى عقد المؤتمرات الاستشراقية ، وتضع لها جداول أعمالها... وكانت هذه الجمعيات بالإضافة إلى إشرافها على المؤتمرات الاستشراقية تبذل كل جهودها في دراسة الشرق وأديانه وتاريخه وثقافته ولا سيما اللغة العربية والثقافة العربية ، لتقدم للحكومات فى آخر كل عام تقريراً لا يضم بين دفتيه الحقائق التي تمليها العدالة ويشهد لها الواقع ، وإنما ينطوي على سموم من الحقد مع كثير من التزييف والمغالطة . كل ذلك من أجل تحقيق آمال الغرب في الهيمنة على الشرق ونهب ثرواته ، واستعمار شعوبه[1].

٢ - أن المستشرقين أخذوا يعملون على جمع شملهم وتنسيق جهدهم ، تجلى هذا في المؤتمر الاستشراقي الدولي الذي عقد لأول مرة في باريس عام ١٨٧٣م ، وكان بعد ذلك يعقد كل عامين ثم كل ثلاثة أعوام أو أربعة في بعض الأحيان[2].

وفي هذه اللقاءات التي كانت تضم ممثلين عن كل المستشرقين في مختلف البلدان كانت تلقى الأبحاث والدراسات التي تدور حول الشرق- خاصة الإسلامي وتاريخه ، وتراثه العقائدي والفكري ، وما كانت بوجه عام تعرض لوسائل النهوض به والحرص على تقدمه واستقلاله .

٣ - دخل الاستشراق كل دول أوروبا بدرجة سواء، وتسابق الجميع في هذا الميدان بشتى الأسباب ، لا انتصاراً للحق ، وإنما حرصاً على الفوز بأكبر قدر ممكن من الغنائم .

---

(١) الاستشراق . د/ محمد الدسوقي . ص : ٨٠ .

(٢) انظر : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا . د/ ميشال جحا . ص : ٢٧٨. طبعة معهد الإنماء العربي . بيروت (د . ت) . وانظر: الاستشراق . د/ محمد الدسوقي . ص : ٧٩ .

٤ - ظهور الاستشراق الأمريكي ، وهو وإن كان امتداداً للاستشراق الإنجليزي ، وتطلع نحو السيطرة الاستعمارية ، ومنافسة أوروبا في هذا المجال ، وإن لم يتحقق ما سعى إليه إلا فى القرن العشرين الميلادي ، ففي الاجتماع السنوي الأول للجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٣م أشار رئيس الجمعية إلى أن النشاط الاستشراقي الأمريكي ينبغي أن يقتفي خطوات الاستشراق الإنجليزي ، وجاء في تقرير عن النشاط الاستشراقي الأمريكي أنه عمل ضروري لحماية الأمن القومي[١].

٥ - ظهور ما يمكن أن نسميه الاستشراق الشرقي ، ونعني به ذلك الاستشراق الذي قامت به دول شرقية لا تدين بالإسلام كروسيا ، وقام الاستشراق بدور كبير في مساعدة الصهيونية للتغلغل في فلسطين ، وإنشاء وطن لليهود في قلب الوطن العربي[٢].

٦ - استمرت في هذه المرحلة ولا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الميلاد حركة نقل التراث الإسلامي إلى أوروبا وغيرها ، وقد ترجم قدر منه إلى اللغات الأجنبية ، وكان جل ما ترجم خاصاً بالأدب واللغة والدراسات التاريخية ، كما طبع منه قدر لا بأس به ، وهذا الذي طبع يتناول غالباً ما يتناوله القدر الذي ترجم من قضايا الأدب واللغة والتاريخ[٣].

٧ - رحل كثير من المستشرقين إلى العالم الإسلامي ، وأقام بعضهم في ربوعه مدة ، وكان منهم من يعمل جاسوساً ويزعم أنه مسلم ، ومنهم من رغب في دراسة هذا العالم

---

(١) السابق . ص : ٨١ .

(٢) انظر الاستشراق الروسي . للأستاذ / محمد أحمد شهاب . ص : ٢٤ – ٢٥ . (بدون) .

(٣) انظر : الدراسات العربية والإسلامية . لمجموعة من المستشرقين ص : ٢٥ . طبعة جامعة بيروت العربية . ١٩٧٣ م .

عن مشاهدة ومعاينة ، ومنهم من كان يقوم بالتبشير ، ومنهم من تولى التدريس في المدارس والجامعات ، كما أن منهم من دخل المجامع العلمية عضواً بها.(١) .

٨ - تتلمذ كثير من الطلاب المسلمين على أيدي المستشرقين وهؤلاء الذين درسوا لطلابنا لم يدرسوا لهم إلا تشريعاتنا وآدابنا ولغتنا وتاريخنا ، وهم ينظرون إلى هذا التراث كله نظرة غير موضوعية ، فالفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني ، وآدابنا يغلب عليها طابع الهجاء والاستجداء ولغتنا لا تصلح للحياة العصرية ، إنها لغة معقدة صعبة تضيق عن استيعاب العلوم والمبتكرات ، وتاريخنا ملفق ومشوه يسوده الافتراء حتى فيما روي من أحاديث عن خاتم الأنبياء والمرسلين .(٢) .

٩ - عكف المستشرقون في هذه المرحلة على دراسة الإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً ولم يدعوا جانباً من جوانب ثقافتنا إلا وكتبوا فيه ، ونشروا عنه ، وهم إلى هذا أكثروا من ترجمة القرآن الكريم ، وبعض مجامع السنة ، كما أنهم عملوا الفهارس المتنوعة للمصدر الأول والثاني (القرآن والسنة) للتشريع الإسلامي ، وأصدروا الموسوعات الخاصة بتاريخنا وتراثنا ، وحاولوا حصر ما خلفه السلف من آثار علمية مبعثرة فى شتى المكتبات في كل دول العالم تقريباً(٣).

١٠ - تميزت هذه المرحلة بتغير شكلي في الأسلوب الذي كان ينتهجه المستشرقون في الهجوم على الإسلام ، حيث انتقلوا من الهجوم المباشر إلى الهجوم المستتر أو الخفي ،

---

(١) الاستشراق . د/ محمد الدسوقي . ص : ٨٢ .

(٢) السابق . نفس الصفحة .

(٣) انظر : ظاهرة انتشار الإسلام . د/ محمد فتح الله الزيادي . ص : ٦٩ – ٧٠ .

فإذا كنا في المراحل السابقة نرى كتابات لا تتورع في إظهار حقدها على الإسلام ، فإننا في هذه المرحلة نرى أسلوباً جديداً قد يفهم منه الإنصاف ، ولكن عند التدقيق فيه لا تجد إلا التشكيك والدس والكيد للإسلام وأهله [١].

ومن خلال ما سبق ندرك أن هذه المرحلة من أخطر مراحل الاستشراق ففيها غزا العقول وبلبل الأفكار ، وقدم دراسات تناولت كل جوانب ثقافتنا وتاريخنا ، وأراد لنا أن ندرس تراثنا من منظور الفكر الكنسي ، وكأن الشعور الغربي بالفوقية ، وكأن الشرقي دونه حضارة وعلماً ، أوحى إلى المستشرق أنه أحق من الشرقي بفهم تراثه وثقافته ، وتقديمه له ، فكانت تلك الدراسات المختلفة التي لم تغادر قضية من قضايا الفكر الإسلامي إلا عرضت لها وقالت كلمة فيها .

المرحلــة الرابعــة :

بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م ، وما زالت مستمرة حتى الآن ، فهذه المرحلة تعد امتداداً متطوراً للمرحلة الثالثة ، وإن كانت السمة الغالبة عليها هي استمرار المواقف المعادية للإسلام والمسلمين .

- وفى هذه المرحلة – أيضاً – " عدل المستشرقون والمبشرون خططهم فى تغيير أفكار الأفراد المسلمين إلى وجهة نظرهم وأفكارهم ، إلى تغيير الإسلام نفسه بإعطاء تفسيرات له مختلفة تماماً ، وشن حركة منظمة لإعادة بنائه من الداخل ، وقد تبنت معظم كتابات المستشرقين المعاصرة هذا الطريق "[٢]

---

(١) ظاهرة انتشار الإسلام . د/ محمد فتح الله الزيادى . ص : ٧٠ .

(٢) الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية . د/ محمد عبد الله الشرقاوي . ص : ٥٣ .

- وقد حرص المستشرقون في هذه المرحلة على إبراز صورة مشوهة للإسلام والمسلمين في الدراسات الاستشراقية ، وفي وسائل الإعلام في الغرب بوجه عام ، وفي أمريكا بوجه خاص ، وما زالت تنشر الكتب والمقالات دون توقف عن الإسلام والمسلمين .

من أهم سمات هذه المرحلة التي تمتد إلى يومنا هذا ما يلى :

١ – الاستمرار في عقد المؤتمرات وتطوير أسلوبها ، وتوسيع دائرة عضويتها ، وكذلك زيادة عدد المجلات العلمية التي بدأت تصدر في كل بلد أوروبي تقريباً .

٢ – ازدياد نشاط أقسام الدراسات الشرقية في الكثير من الجامعات الغربية ، وذلك نتيجة للأعداد الكبيرة من الطلاب الوافدين على هذه الأقسام للدراسة العليا .

٣ – الانخفاض الواضح في مستوى عمل المستشرقين ، حيث لم نعد نرى ذلك النوع من المستشرقين الذين يفنون أعمارهم في تحقيق مخطوط أو في جمع شتات مؤلف مندثر في أماكن متفرقة ، على أن المنهج الاستشراقي في الكتابة والبحث لا يزال حتى يومنا هذا يسير على نفس المنهج الذي بدأ به ، كما أن الارتباط بين المستشرقين وبين الدوائر الاستعمارية والكنسية لا يزال قائماً حتى الآن ، بل ربما زاد هذا الارتباط كثيراً نتيجة للدعم المستمر من الحكومات الغربية والذي استطاع معه المستشرقون تغيير أساليبه ووسائله وتطويرها بتطور الظروف والأحوال .

وبعد الوقوف على مراحل الاستشراق وبيان المخاطر التي تنطوي عليها ، وما يبيته هؤلاء المستشرقون لديننا ولأمتنا من شر مستطير فإنه يجب علينا حماية لعقيدتنا ووجودنا ونصرة لديننا أن نعمل وفق تخطيط علمي مدروس لمناهضة ذلك العدوان والحيلولة بينه وبين ما يريده بنا ولا نلقي بالاً لتلك المزاعم التي تردد في بعض المؤلفات والمؤتمرات

وتحاول أن تلقي على الاستشراق هالة من الإكبار والإجلال وأنه يقوم بدور السفارة العلمية بين الشرق والغرب بعيداً عن أهواء السياسة ، أو نزعات التعصب الديني ، فهذا أسلوب جديد في التضليل ، ومنهج حديث في الغزو الفكري ، وما لم نكن أيقاظاً لما يبيت لنا ، ويموه به علينا فإن العاقبة ستكون وخيمة ، لأنها ستقتل الفكر والوجدان ، وتزحزحنا شيئاً فشيئاً عن أصالتنا ومقومات وجودنا فنصبح غرباء عن عقيدتنا ونفقد في هذه الحالة كل شيء ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

□

(١) سورة الحج : من الآية : ٤٠

المبحــث الثالــث

دوافــع الاســـتشراق

لقد تنوعت دوافع الاستشراق ، ولعل أبرز هذه الدوافع ما يلي :

أولاً : **الدافــع الدينـــي** :

" لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني ، فقد بدأ بالرهبان ، واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر .. وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ليثبتوا لجماهيرهم التى تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام – وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية فى نظر الغربيين – دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكوا دماء ، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي "(١).

والهدف من هذا الدافع : " هو إخراج المسلمين من دينهم ، فإن أمكن تنصيرهم فذاك ، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقاً هدف مرجو يحقق للنصارى منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وغير ذلك ، ومن أجل تحقيق هذا الدافع اتخذوا وسائل كثيرة منها :"

١ – تشويه الإسلام والتشكيك فى أسسه ، وتوجيه المطاعن له .

٢ – تشويه التاريخ الإسلامي وتشويه حضارة المسلمين وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث .

---

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم . د/ مصطفى الباعى . ص: ١٨-١٩ . ط. دار السلام . ط. الأولى ١٩٩٨م .

٣ - نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها ، وبعث الطوائف الضالة والحركات الهدامة القديمة .

٤ - تزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام .

٥ - ادعاء أن الفقه الإسلامي مقتبس من القانون الروماني .

٦ - ادعاء أن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع التطور الحضاري .

٧ - الدعوة إلى نبذ اللغة العربية ، وتبديل طريقة كتابتها .

٨ - تنفير المسلمين من دينهم وحملهم على كراهيته ، واستدراجهم للأخذ بالحضارة المادية الحديثة ، وما فيها من مغريات للنفوس ، ومرضيات للأهواء ، وآسرات للشهوات ، وباهرات للنظر .[1]

ثانيا : **الدافع الاستعماري** :

لم ييأس الصليبيون بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد المسلمين ، فاتجهوا لدراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ولغات وتاريخ وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان بغية أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها ، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها"[2]

وهذا الدور الذي قام به المستشرقون " قد مهد السبيل للاستعمار لكي يحتل بلاد

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . ص: ١٢٨-١٢٩ طبعة دار القلم – دمشق ط الثامنة ٢٠٠٠م.

(٢) السابق: ص: ١٢٩ . وانظر : الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم . د/ مصطفى السباعي ص :١٩-٢٠ .

المسلمين بأيسر السبل وأقصرها معاً، فلم يكد ينتهي القرن التاسع عشر الميلادي إلا وقد احتل الغرب معظم البلاد الإسلامية والعربية بصفة خاصة ، فوضعت فرنسا يدها على سوريا ولبنان ومعظم دول شمال إفريقيا الإسلامية ، ووضعت إنجلترا يدها على مصر والسودان والعراق والأردن وفلسطين ، وكثير من إمارات الخليج العربي واليمن ، وبدأ الاستعمار يتعامل بأسلوب جديد مع شعوب هذه المناطق ، حيث عمل على إضعاف روح المقاومة فى نفوس المسلمين ، ليجعل منهم شعوباً قابلة للاستعمار فكراً وثقافة وحضارة وعقيدة ، وهذا أخطر ما أصيب به العالم الإسلامي ، قابليته للاستعمار بأشكاله وأساليبه الحديثة والمعاصرة "(١).

وكان من أخطر وسائل الاستعمار في تحقيق مآربه ما يلى :

١ - التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث ، وبما عندهم من عقيدة وشريعة وقيم إنسانية . والغرض من ذلك أن يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ، ويرتموا في أحضان الغرب ، يستجدون منه المقاييس الأخلاقية ، والمبادئ والعقائد ، والحلول لمشاكلهم الحياتية والعادات والتقاليد وأنواع السلوك ، ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعاً كاملاً .

٢ - إحلال مفاهيم جديدة أو إحياء مفاهيم جاهلية ماتت منذ تمكن الإسلام من قلوب المسلمين ، كالقوميات الفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، والكردية ، والتركية ، والفارسية ، ونحو ذلك ، ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة ، التي

---

(١) الاستشراق والتبشير . د / محمد السيد الجليند . ص: ٢٠-٢١ طبعة دار قباء للطباعة والنشر (بدون ت).

تجمعها رابطة واحدة هي وحدة الدين "[١].

٣ – التبشير بحضارة الغرب المادية والانفتاح عليها .

٤ – محاولة القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن وأحد المقومات الأساسية للوحدة العربية .[٢]

ومن الجدير بالذكر هنا "أن الاستشراق في بدايته كان محكوماً بالنوازع الدينية والعلمية فالكنيسة ومؤسساتها المختلفة هي الوعاء للاستشراق فى هذه المرحلة ، ومنها يتحرك ، وبإمكاناتها يعمل ، وحين اجتاح الفكر الاستعماري أوروبا وتطلعت الدول الأوروبية إلى استعمار العالم الشرقي احتاج هؤلاء إلى الكثير من المعلومات التي تساعدهم في تحقيق تطلعاتهم الاستعمارية ، وقد وجدوا في المستشرقين قوالب جاهزة ذات علاقة قوية بالشرق ، وعلى دراية كافية بالكثير من المعلومات التي تمهد لحركة الاستعمار[٣].

وفى الوقت ذاته " أقنع المستشرقون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي على الشرق الإسلامي ، وبذلك سهل الاستعمار للمستشرقين مهمتهم، وبسط عليهم حمايته ، وزودهم بالمال والسلطان ، فمكن الاستعمار للمستشرقين في البلاد الخاضعة لحكمه أو نفوذه لينشروا فيها فلسفتهم، ويحققوا أهدافهم[٤].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . عبد الرحمن الميداني . ص :١٢٩. وانظر : الاستشراق والمستشرقون . د / مصطفى السباعي . ص : ٢٠-٢١ .

(٢) الحملات التبشيرية والحركات الاستشراقية بين الماضي والحاضر . د/جبر محمد حسن جبر:٢/ ٣٨(بدون) وانظر : ظاهرة انتشار الإسلام . د/ محمد فتح الله الزيادى . ص: ٨٢ .

(٣) الاستشراق . د / محمد فتح الله الزيادى . ص : ٣٨-٣٩

(٤) الحملات التبشيرية والحركات الاستشراقية بين الماضي والحاضر . د / جبر محمد حسن جبر.٢/ ٤٠

ومن هنا تم التعاون والتلاحم بين الاستشراق والاستعمار، ودخل المستشرقون في مرحلة جديدة هي المرحلة الاستعمارية ، وقد تم هذا التعاون بأشكال وصور شتى ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

١ - " ساهم تنقل المستشرقين وترحالهم في بلدان العالم الشرقي، وما نتج عن هذه الرحلات من مؤلفات في إعطاء صورة واضحة لصناع القرار الغربي في اختيار الأمكنة الملائمة لتوجيه جيوشهم، وفي توزيع رقعة العالم الشرقي بينهم، وربما لا يعرف الكثيرون أن نابليون بونابرت تأثر في وضع خطته بكتاب " الكونت دي فولني "- المستشرق والرحالة الفرنسي- (رحلة فى مصر وسوريا) الذى ظهر فى مجلدين عام ١٧٨٧م ، وقد تحدث فى كتابه عن الإسلام بصورة تخالف الحقيقة وقد اعتبر الشرق ليس أكثر من مكان يمكن لفرنسا أن تحقق فيه مطامعها الاستعمارية..." (١).

٢ - ما قام به المستشرق الإنجليزي (فيلبي) الذي ترأس بعثات بريطانية إلى الجزيرة العربية والأردن ، وكانت نتيجة تجواله تزويد أجهزة المخابرات البريطانية بخرائط ومعلومات متنوعة وهامة (٢).

ومما يؤكد لنا الصلة القوية بين الاستشراق والاستعمار ذلك النوع من المستشرقين الذين عملوا ضباطاً في الجيوش الأوروبية ، فهؤلاء جمعوا إلى جانب عملهم الأكاديمي

---

(١) الاستشراق . د/ محمد فتح الله الزيادى . ص : ٤٠ – ٤١ .

(٢) السابق . نفس الصفحة . وانظر : مستشرقون جامعيون سياسيون مجمعيون . د/ نذير حمدان . ص : ٢٥ – ٢٦ . طبعة مكتبة الصديق بالطائف (د . ت) .

عملاً استعمارياً هو الذى من خلاله نؤكد على وجود الدافع الاستعماري وراء حركة الاستشراق . (١)

ثالثا: الدافع الاقتصادي (التجاري):

تدفع الإنسان دائماً الحاجة الاقتصادية لالتماس سبل العيش عبر الأراضي والبحار فى جميع بقاع العالم ، وبسبب هذا الهدف يشهر سلاحه ، ويستعين بقوته وبطشه ما وجد لذلك سبيلاً ، يأخذ ويحتل ، ويسلب وينهب ، ويسيطر ويستعبد ، ويهدم ويخرب ، ويغامر بحياته ، ويقامر بحياة الآخرين .(٢)

ولقد كانت النواحي الاقتصادية من أشد الدوافع " التى حرضت كثيراً من الغربيين على الدراسات الاستشراقية ، رغبة بغزو البلاد الإسلامية غزواً اقتصادياً ، يهدفون منه إلى الاستيلاء على الثروات الأرضية ، واستغلال الموارد الطبيعية ، والحصول عليها بأبخس الأثمان ، وإماتة الصناعات المحلية ، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية . وضمن هذا الدافع وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمون بالدراسات الاستشراقية ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية "(٣).

وها هو المستشرق (رودى بارت) (٤) يقدم اعترافاً صريحاً بدعم المؤسسات الرسمية

---

(١) السابق : ص : ٤٣ .

(٢) الحملات التبشيرية والحركات الاستشراقية بين الماضي والحاضر . د/ جبر محمد حسن جبر . ٢/ ٤٠.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . د/ عبد الرحمن الميدانى . ص: ١٣٠ .

(٤) رودي بارت : مستشرق ألماني ولد عام ١٩٠١م بجنـوب ألمانيـا من أسـرة يكثر فيها القساوسة ، =

للمستشرقين فيقول : " ونحن جميعاً المتمتعين بهذه النظم نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلاً فى الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق ، وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار "(١).

وهناك فريق آخر دخل ميدان الاستشراق بدافع كسب المال ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوى(٢) : " كثير من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدورحول الإسلاميات والشرقيات ، ويشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة في أوروبا وآسيا ، وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ما يجعلها عظيمة الانتشار، كثيرة الذيوع ، وهى ولا شك وسيلة لتجارة رابحة ، وكسب

= وحصل على الدكتوراة من جامعة توبنجن عام ١٩٢٤م ، وفي عام ١٩٥١م عين أستاذا للإسلاميات ، وأهم نتاج علمي له هو ترجمة للقرآن إلى اللغة الألمانية ، وتوفي عام ١٩٨٣م . انظر : موسوعة المستشرقين ، د/ عبد الرحمن بدوي . ص:٦٢ طبعة دار العلم للملايين – بيروت ، ط .الثالثة ١٩٩٢م.

(١) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية . رودى بارت . ترجمة د / مصطفى ماهر . ص / ١١.

(٢) أبو الحسن الندوي : ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – ، ولد بقرية تكيه بمديرية راي بريلي– في الولاية الشمالية بالهند التحق بجامعة لكهنو في القسم العربي عام ١٩٢٧م ، وحصل على شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها ، ثم عين مدرسا في دار العلوم لندوة العلماء بالهند عام ١٩٣٤م، وله عدة مؤلفات منها : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، وله جهد في الدعوة إلى الله تعالى ، وتوفي عام ١٩٩٩م . انظر : السيد أبو الحسن الندوي حياته و إسهاماته ، د / شاكر شوق: ص:٥٠-٦٠(بدون) .

أموال خطيرة "[١].

ومما سبق يتبين لنا أن الهدف من هذا الدافع هو " تحصيل الأموال والمطامع الاقتصادية "[٢] ، والاستيلاء والسيطرة على جميع خيرات البلاد الإسلامية

رابعاً : الدافــع العلمــي :

هذا الدافع يسير في اتجاهين :

- الاتجاه الأول : دافع علمي خالص (نزيه) .

- الاتجاه الثاني : دافع علمي غير نزيه .

الاتجاه الأول: فيمثله فئة قليلة جداً من المستشرقين الذين " أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم ، وأديانها ، وثقافاتها ، ولغاتها وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدسوا أو يحرفوا ، كذلك جاءت بحوث هؤلاء أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين ، بل منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام "[٣].

ومن أمثلة هؤلاء الباحثين المنصفين المستشرق (كارلايل) [٤] الذي قال في كتابه

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية . الشيخ / أبو الحسن الندوى . ص: ١٨٨ .ط . دار القلم ١٩٨٣م .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . عبدالرحمن الميدانى . ص:١٣١.

(٣) أجنحة المكر الثلاثة . الشيخ عبدالرحمن الميداني : ص: ١٣١- ١٣٢.

(٤) توماس كارليل : مستشرق فرنسي ، من آثاره كتاب الأبطال ، وقد عقد فيه فصلا رائعا عن النبي =

الأبطال " لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خداع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا ، أكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هؤلاء الملايين الفائتة الحصر والإحصاء أكذوبة وخداعاً ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول فما الناس إلا بله ومجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة ، كان الأولى بها ألا تخلق "[1].

ومن هؤلاء المستشرق الألماني (يوهان رايسكه) ١٧١٦-١٧٧٤م ، والذي كان واحداً من علماء العربية فى عصره ، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا ، ولكن عصره ومعاصريه تجاهلوه ، وحاربه رجال اللاهوت متهمينه بالزندقة ، ولعل ذلك يرجع إلى موقفه الإيجابي من الإسلام ، فقد امتدح الدين الإسلامي في كتاب له باللاتينية ، ورفض وصف النبي- صلى الله عليه وسلم - بالكذب أو التضليل"[2]

= صلى الله عليه وسلم فنقله إلى العربيـــة الأستـــاذ علي أدهم ، توفي عـــام ١٨٨١م. انظر: المستشرقـــون . نجيـــب العقيقي :٢/ ٤٨١.

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، محمد كرد على . ص: ٦٥ ط . الثالثة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة (د.ت) .

(٢) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل . د/ إسماعيل على محمد . ص : ٤٢-٤٣ نقلاً عن الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . د/ محمود حمدي زقزوق . ص: ٤٣-٤٤.

وإنه لمن دواعي الأسف أنه كلما ظهر في أوروبا أحد المنصفين ممن لا يخشون في الحق لومة لائم وقفت الأقلام الموظفة في وزارة المستعمرات تلوم وتخطئ ، حتى وصف المؤرخ الإنجليزي (جيبون) بأنه كاتب وثني ، لأنه أثنى على النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال كلمة الحق عن حال المسيحية وقت مبعثه – صلى الله عليه وسلم – مما لم يرق في نظرهم .[1]

وإذا كان بعض هؤلاء قد قال كلمة حق وإنصاف فإن منهم أيضاً من أدى به " البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين ، كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه)[2] الذي عاش في الجزائر ، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه)، وألف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وله كتاب(أشعه خاصة بنور الإسلام) بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله ، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا ، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها "[3]. وغيره ممن عرف الحق واتبعه .[4]

الاتجاه الثاني : الدافع العلمي غير النزيه فيمثله جمهرة المستشرقين ، ولا ريب أن "

---

(١) الآيات الشيطانية بين الرواية التاريخية المختلقة والحقيقة العلمية الموثقة . د / شوقي أبو خليل ، ص: ١١٤-١١٥ (بدون) .

(٢) ناصر الدين دينيه : مستشرق فرنسي ، تعلم في فرنسا ، ثم رحل إلى الجرائر ، وبها اعتنق الإسلام ، وتسمى ناصر الدين ، وحج البيت الحرام عام ١٩٢٨م ، وتوفي في نفس العام . انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي :١/ ٢٣٥.

(٣) الاستشراق والمستشرقون . د/ مصطفى السباعى . ص : ٣٠-٣١ .

(٤) السابق . ص : ١٣٤ .

إنفاق هذه الجيوش الاستشراقية للوقت والمال ، لم يكن في حقيقته نابعاً عن حب خالص للعلم ، ولا لرغبة منهم في المحافظة على تراثنا والانتفاع به فى تطوير واقعنا ، فهذا أمر مثالي للغاية ، ولا انعكاس له على أرض الواقع ، إن مثل هذه الدراسات الاستشراقية مجرد وسائل معاونة لفهم نفسية الشعوب العربية والإسلامية حتى يستطيع الفكر الاستشراقي العام أن يخطط – على أسس وأساليب علمية – لموقفه تجاه هذه الشعوب ، إن الهدف يكمن في معرفة جوانب القوة لمواجهتها ، والوقوف على جوانب الضغف لتعميقها حتى تظل السيطرة الغربية على هذه الشعوب .

نحن لا نبالغ فيما نذهب إليه ، فمعظم ما اصطفاه المستشرقون من التراث الإسلامي والعربي إنما يعكس الاضطراب الفكري والسياسي بين المسلمين ، لقد اهتم الاستشراق في مجالات النشر والتحقيق بالجوانب السلبية في تراثنا أكثر من اهتمامه بالإيجابية ، بالإضافة إلى أن منهج التحقيق لم يكن علمياً خالصاً ، فهناك أخطاء فى الفهم وتحريف النصوص ، وتعليقات تعكس مدى التعصب عند المستشرقين ، وتفضح حقيقة النوايا والدوافع من وراء هذه الأعمال ، حتى مجال وضع الفهارس الذى يهم المعجبين بالاستشراق ، لم يأت إلا ليهيئ الوسائل المطلوبة لجمع المادة العلمية التى يعالجها المستشرقون .

إن تلك الدراسة القيمة التى قام بها الدكتور عبد العظيم الديب [١] للبحث في اتجاهات النشر عند المستشرقين ، على الرغم من إيجازها ، قد قدمت لنا أدلة الاتهام

(١) المستشرقون والتراث . د/ عبد العظيم الديب . ص : ٧ – ٨ طبعة دار الوفاء بالمنصورة . ط . الثانية ١٩٨٨م .

الصريحة ، وأدلة الإثبات الواضحة على انعدام الباعث العلمي وراء أعمال المستشرقين "[1].

والناظر في دراسات هؤلاء المستشرقين يجد أنها لا تقوم إلا على التعصب والنقد الجائر، والطعن في كل نواحي الإسلام ، وطمس كل معالم الخير والفضيلة في تاريخ المسلمين ، كل ذلك مع تبجحهم وزعمهم أنهم أصحاب منهج علمي سليم ، وأن دافعهم علمي نزيه ، وكل هذا لا يمنعنا من الوقوف في وجه هؤلاء وإثبات أنهم ليسوا من العلم في شيء .

خامساً : **دوافـــع أخـــرى** :

يرى بعض الباحثين أن للاستشراق دوافع أخرى جانبية ، قد يكون بعضها شخصياً متصلاً بمزاج بعض الناس الذين توفر لهم المال والوقت ، فاتخذوا الاستشراق وسيلة للتنقل والترحال بين الأمم الشرقية للاطلاع على ثقافتها وحضارتها .

وهناك نوع آخر من المستشرقين دخلوا هذا الميدان استرزاقاً عندما ضاقت بهم سبل العيش في أماكن أخرى ، ومنهم من دخل هذا الميدان نتيجة عدم قدرته الفكرية على الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى ، ومنهم من دخله تخلصاً من مسئولياته المباشرة في مجتمعه المسيحي[2]، على أن هذه الأصناف كانت قلة قليلة لا تكاد تذكر، لهذا لم نعتبر هذه الدوافع رئيسية فى ميدان الاستشراق .

---

(١) الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية . د / محمد جلاء إدريس . ص : ٣٤-٣٥ . طبعة العربى للنشر والتوزيع القاهرة ١٩٩٥م.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية . عمر عودة الخطيب . ص : ١٩٨ .

المبحــث الرابــع

أهــداف الاســتشراق

تنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام :

١ – الأهداف الدينية والسياسية .

٢ – هدف علمي مشبوه .

٣ – أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص .

الأهداف الدينية والسياسية فتتلخص فيما يلي :

١ – تشكيك المسلمين في نبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم ، ففي ذلك هدفان : ديني واستعماري .

٢ – تشكيك المسلمين في قيمة تراثهم الحضاري .

٣ – إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا .

٤ – إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام ، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم

وكذلك يفعلون في البلاد العربية ، يجهدون لمنع اجتماع شملها ، ووحدة كلمتها كل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق .. لمنع الوحدة بين البلاد العربية ، والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها .[1]

- ومما هو جدير بالذكر والتسجيل هنا أن كل باحث عن تاريخ الاستشراق

---

(١) الاستشراق . د/ مصطفى السباعي . ص : ٢٨– ٢٩.

يستطيع " أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا ، وقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تاريخه ، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة نهائية ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد حرر نفسه من إسار الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلاً إلا بدرجة ضئيلة .

والهدف الديني للاستشراق كان يسير من البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معاً جنباً إلى جنب .

وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي :

١ - " محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه ، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية ، والانتقاص من قِيَمِهِ والحط من قدر نبيه .. الخ .

٢ - حماية المسيحيين من خطره - كما يزعمون - بحجب حقائقه عنهم ، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة ، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين .

٣ - التبشير وتنصير المسلمين .. وقد كان قرار مجمع " فينا" الكنسي في ١٣١٢م ، وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون ، وتأسيس مجلة العالم الإسلامي عام ١٩١١م عن طريق صمويل زويمر رئيس المبشرين في الشرق الأوسط ، والذي توفي في أوائل الخمسينات من القرن الماضي .

كانت هذه بعض الشواهد الظاهرة في اتجاه خدمة الهدف الديني والعمل من أجله في محيط الاستشراق [1] .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . د/ محمود حمدي زقزوق . ص : ٧٤ – ٧٥ .

الهدف الثاني فقد تمت ترجمته من خلال :

أ - " التشكيك في صحة رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومصدرها الإلهي .

ب - إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً عليه من عند الله - عز وجل - .

ج - إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله وإنما هو ملفق عندهم - من الديانتين اليهودية والمسيحية - .

د - التشكيك في صحة الحديث النبوي الذى اعتمده علماؤنا المحققون ... فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومنها ينبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم .

هـ - التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور ، لقد سقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته .. فلم يجدوا بداً من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني ، وقد بين علماؤنا الباحثون تهافت هذه الدعوى ، وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته ، وليس مستمداً من أي فقه آخر ، ما يفحم المتعنتين منهم ، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا .

و - التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ، لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا ، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي ، وإظهاره مجدباً فقيراً لنتجه إلى آدابهم .

تلك هي الأهداف العلمية التي يعمل لها الجمهرة الغالبة من المستشرقين ."[1]

---

(١) الاستشراق والمستشرقون . د/ مصطفى السباعي . ص : ٢٣- ٢٧ .

أما الأهداف العلمية الخالصة التي لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص :

فقد كان هناك بعض المستشرقين أخلصوا في طلب العلم والبحث عن الحقيقة ، وهذا الصنف قليل عدده جداً (١) ، وقد ظهر على بعضهم الإعجاب بالإسلام ، وبعضهم دخل فيه أمثال : محمد أسد (ليوبولد فايس) والأستاذ / ناصر الدين دينيه ، وعبد الكريم جرمانوس(٢) .(٣)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الصنف من المستشرقين " مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها ، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها "(٤) .

وسنأخذ المستشرق (محمد أسد) (ليوبولد فايس) كمثال نوضح من خلاله أن هذه الطائفة من المستشرقين رغم إخلاصها في البحث وإعجاب جماعة منهم بالدين الإسلامي حتى أنهم اعتنقوه إلا أنهم مع كل هذا لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن

---

(١) الاستشراق . د/ مصطفى السباعي . ص : ٢٩.

(٢) عبد الكريم جرمانوس: ولد عام ١٨٨٤م ، وتعلم اللغة العربية والتركية ، عمل أستاذا ورئيسا للقسم العربي بجامعة بودابشت ، كما حاضر في جامعة دلهي بالهند ، وهناك أعلن إسلامه ، ثم رحل إلى القاهرة وعمق في دراسة الإسلام على يد شيوخ الأزهر ، وحج البيت الحرام ، وله عدة مؤلفات ، من أشهرها كتاب : الله أكبر . انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي : ٣/ ٩١٠-٩١٢ .

(٣) أهداف المستشرقين . د / سعد عبد الله الحميد . ص : ٤٧ .

(٤) الاستشراق . د/ مصطفى السباعي . ص : .٢٩.

الحق.

" ولد محمد أسد عام ١٩٠٠م ، وتوفي عام ١٩٩٢م ، وهو صحفي نمساوي يهودي ، ولد بإقليم من أقاليم بولندا كان تابعاً آنذاك للإمبراطورية النمساوية ، وكان يسمى (ليوبولد فايس) ، ثم دخل في الإسلام سنة ١٩٢٦م بعد أن رحل إلى الجزيرة العربية أيام الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – ثم انتقل بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية حيث توثقت بينه وبين العلامة محمد إقبال عرى الصداقة ، وظل يساعد في إذكاء نهضة الإسلام في تلك البلاد إلى أن انفصلت الباكستان عنها ، فانتقل إلى الإقامة في الدولة المسلمة الجديدة واكتسب جنسيتها وأصبح مندوبها الدائم في الأمم المتحدة حتى عام ١٩٥٣م .

كما ترك أسد عدة كتب ترجم بعضها إلى اللغة العربية " الطريق إلى مكة " و" الإسلام في مفترق الطرق" ومنهاج الحكم في الإسلام " وبعضها الآخر لم يترجم بعد إلى لغة الضاد- حسب علمى – وهى:

ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم ، وترجمته لقسم من صحيح البخاري، وبقية سيرته الذاتية . والذين يعرفون أسد في العالم العربي إنما يعرفونه في الغالب من خلال كتبه المترجمة إلى اللغة العربية .

وهذه الكتب ليس فيها تقريباً ما يمكن الاختلاف معه بسببه ، لكن الأمر يختلف بالنسبة لترجمته لـلقرآن الكريم ، وإلى حد ما بالنسبة لترجمته لـ " صحيح البخاري " ، إذ نراه في الأولى مثلاً ينكر معجزات الأنبياء ، ويجوزعليهم الوقوع في الأخطاء والخطايا، مثلهم في ذلك مثل أي شخص آخر ، كما يؤول الجن والشياطين والملائكة ، ونعيم الجنة والنار تأويلاً رمزياً ، فضلاً عن أن له في مجال الفقه آراء غريبة ليس من السهل هضمها

أبداً ، وهو ما يجهله قراؤه العرب وما يبدو الإسلام معه شيئاً آخرغيرالذي نعرف" [1]

ومع هذا .. فإن هذه الفئة – من المستشرقين – هي أسلم الفئات الثلاث في أهدافها ، وأقلها خطراً ، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع ولكنهم يلقون تعنتاً من أصحاب الهدفين السابقين إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي ، أو الانسياق وراء العاطفة ، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع (توماس أرنولد) [2] حين أنصف المسلمين فى كتابه العظيم (الدعوة إلى الإسلام)[3]، ومع غيره من المستشرقين .

□

---

(١) انظر : فكر محمد أسد (ليوبولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون . د / إبراهيم عوض. ص : ١-٦.(بدون).

(٢) توماس أرنولد : مستشرق إنجليـزي ، ولد عام ١٨٦٤م ، تعلم في جامعة كامبريدج ، وعمل أستاذا بجامعة عليكرة ، وحاضر في الجامعة المصرية عن التاريخ الإسلامي ، وكان معجبا بالإسلام ، ون أشهر مؤلفاته كتاب العوة الإسلامية ، وتوفي عام ١٩٣٠م . انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي : ٢/ ٥٠٤-٥٠٥ .

(٣) الاستشراق والمستشرقون . د/ مصطفى السباعي . ص : ٢٩- ٣٠ . (بتصرف يسير) .

المبحــث الخـامس
وســائل الاســتــشراق

تمهيد :

أقصد بوسائل الاستشراق " كل ما استخدمه المستشرقون من أدوات وطرق لتوصيل أفكارهم ونظرياتهم ، سواء أكان ذلك للعالم الغربي أم إلى شعوب العالم الشرقي "(١).

وقد سلك المستشرقون كل سبيل من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافهم ، وقد تنوعت وسائلهم واختلفت ، ومن تلك الوسائل ما يلى: تأليف الكتب ، تحقيق كتب التراث ، إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه ، إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، محاولة الوصول إلى المؤسسات العلمية الهامة فى البلاد العربية والإسلامية، عقد المؤتمرات الاستشراقية ، نشرالمقالات في الصحف المحلية ، إمداد الإرساليات التبشيرية بما تحتاج إليه من الخبراء، إنشاء المتاحف الشرقية ، وإنشاء المؤسسات التعليمية وكراسي الدراسات العربية في الجامعات الغربية ، وغيرها . وسأتحدث عن بعض هذه الوسائل في المطالب التالية .

المطلــب الأول
تأليـــف الكــتب

شغل التأليف مكاناً هاماً في نشاط المستشرقين ، "حيث توجهت أقلامهم للكتابة حول كل شئ يتعلق بالشرق لغة وأدباً وعقائد وفنوناً وتراثاً وغير ذلك ، ففي مجال تأليف الكتاب نذكر أن ما يقرب من (٦٠٠٠٠ كتاب) قد ألفت حول الشرق من قبل الغربيين

(١) الاستشراق . د/ محمد الزيادى . ص : ٤٨ .

في الفترة ما بين ١٩٠٠ – ١٩٥٠م ، زد على ذلك قبل هذه الفترة وبعدها حتى يومنا هذا ، ولم تكن هذه المؤلفات ذات طابع واحد ، فقد كان الكثير منها يمتلئ بالأخطاء المنهجية والعلمية ـ ويتميز بالأحكام المسبقة ، خاصة ما كان منها متعلقاً بالدين الإسلامي بصورة أدق ، وكان بعضها يخلو من مثل هذه السلبيات ويتسم بالروح العلمية المنهجية ، إلا أن اعتماده على مرجعية غربية كاملة نظراً لضعف اللغة أدى إلى الوقوع في بعض المزالق ، أما القليل النادرمن هذه المؤلفات فهو ما كانت الأمور معروضة فيه بصورة علمية ومنهجية صحيحة [١] .

وهو الذي يدخل فى نطاق أبحاث الدافع العلمي النزيه الذي تحدثت عنه سابقاً ، ومن أمثلة الكتب المغرضة التي تناولت الإسلام بصورة غير طيبة مشحونة بالتعصب والهوى ، ما يلى :

١ – الإسلام اليوم ، و(مقدمة تاريخ التصوف) و (التصوف) و(ترجمة القرآن) كل هذه الكتب للمستشرق الإنجليزي آربري [٢]، وهذا المستشرق معروف ببغضه ضد الإسلام والمسلمين .

٢ – الإسلام للمستشرق الإنجليزي" ألفرد جيوم " [٣] المعروف بتعصبه ضد الإسلام

---

(١) الاستشراق . د/ محمد الزيادى . ص : ٥١-٥٢ .

(٢) أرثر. أربري : مستشرق بريطاني، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. كان أستاذا للعربية في جامعة لندن، ونشر كتبا عربية ، وكتب أبحاثا ودراسات عن بعض أعلام العرب ومصنفاتهم في ائرة المعارف والمجلات العلمية، بالانكليزية . انظر : الأعلام للزركلي : ١ / ٢٨٧ .

(٣) الفرد جيوم : مستشرق إنجليزي ، تخرج في جامعة أكسفورد ، وعمل في فرنسا ومصر خلال = الحرب العالمية الأولى ،وعمل أستاذا للغة العربية في جامعة برنستون ، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٤٨م. انظر: المستشرقون . نجيب العقيقي : ٢/ ٥٤٣ .

والمسلمين.

٣ – طريق الإسلام ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، المذهب المحمدي ، الإسلام والمجتمع الغربى ، كلها للمستشرق الإنجليزي (جب) .

٤ – تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى ، للمستشرق المجري جولد تسيهر ، المعروف بعدائه الشديد للإسلام.

٥ – إسلام العصور الوسطى ، الأعياد المحمدية ، محاولات في شرح الإسلام المعاصر ، دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية ، الإسلام ، الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية ، كلها للمستشرق اليهودي الألماني : فون جرونباوم .

٦ – عقيدة الإسلام . للمستشرق (فينسينك) العدو اللدود للإسلام ونبيه (صلى الله عليه وسلم) .

٧ – دعوة المئذنة ، للمستشرق الأمريكي" كنيت كراج " وهو مشهور بتعصبه ضد الإسلام .

٨ – الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام ، للمستشرق الفرنسي ماسينيون .

٩ – الموقف الديني والحياة في الإسلام ، تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام ، للمستشرق المتعصب ماكدونالد .[١] ، [٢]

---

(١) انظر:الاستشراق والمستشرقون . د/ مصطفى السباعي . ص : ٣٦– ٥٢ .

(٢) ماكدونالد : أسس مع صموئيل رويمر مجلة عالم الإسلام ١٩١١م ، وترجم كتاب إحياء علوم الدين للغة الإنجليـزية ، وتوفي عام ١٩٤٣م .

ومن الكتب الخطيرة أيضاً التي شوهت حقائق الإسلام تشويها متعمدا ، والتي لها مكانة علمية عند بعض الناس ما يلى:

١ - دائرة المعارف الإسلامية ، صدرت بعدة لغات حية ، ويحرص المستشرقون على إعادة طبعها بين الحين والآخر

" وهي عبارة عن معجم ألفه المستشرقون لخدمة النصرانية واليهودية ، حيث إنهم لم يتركوا شيئاً من عقائد الإسلام ولا شرائعه إلا وصوروه بما يخالف الصورة الصحيحة في كثير من الوجوه ، وما لم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة غير واضحة ، وفي هذه الدائرة الكثيرمن العيوب العلمية والتاريخية المغرضة ، وبالإجماع فإن هذه الدائرة لا تصلح مصدرا لاستقاء معلومات عن الإسلام ، لا من المسلمين ولا من غيرهم . "(١)

٢ - موجز دائرة المعارف الإسلامية .

٣ - دائرة معارف الدين والأخلاق .

٤ - دائرة معارف العلوم الاجتماعية . (٢)

٥ - الموسوعة العربية الميسرة : وهى تعرض المعلومات الإسلامية بصورة ضعيفة وفاترة ، بالإضافة إلى عناصر تشويه التاريخ بهدف خدمة المخططات الصهيونية ، حيث

---

(١) المستشرقون وتشويه العقيدة ومصادر الفكر الإسلامي . د / أحلام إبراهيم الصياد . ٣/ ٢٢٢٢ – ٢٢٢٣ . نشر ضمن أبحاث المؤتمر العلمي الدولي الرابع (المستشرقون والتراث العربي والإسلامي) . طبع دار الأقصى للطباعة والنشر – مصر . ٢٠١٥ م .

(٢) الاستشراق والمستشرقون . د/ مصطفى السباعي . ص : ٤٧ .

تعبرعن وجهة نظر اليهود في كثير من المسائل .

- قاموس المنجد : وهو طافح بالتعصب والحقد على الإسلام ، وبه ما يقرب من أربعمائة خطأ تاريخي علمي . [١]

" هذا، وهناك بعض الكتب والمعاجم وضعها المستشرقون وبعض المخطوطات التى نشروها أفادت الدراسات الإسلامية والعربية إفادة طيبة ، لكن هذه الإفادة جاءت عرضاً ولم تكن مقصودة ، ومن الأمثلة على هذا : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، الذي اعتنى به المستشرق الهولندي فنسنك وعدد آخر من المستشرقين . وهو بلا شك عمل ضخم ، وإنجاز عظيم ، وقد اشترك في تمويله مؤسسات حكومية رسمية معروفة بنشاطاتها في خدمة الاستعمار الغربي وفي حرب الإسلام والمسلمين ، ومنها على سبيل المثال : الأكاديمية الهولندية نفسها وكذلك الأكاديميات الرسمية في كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا ، والدول الإسكندنافية [٢] ويوغسلافيا . ولا يقول عاقل إن هذه المؤسسات قامت بتمويل المشروع خدمة للعلم ، أما انتفاع المسلمين بالمعجم فقد جاء عرضاً ولم يكن مقصوداً من المستشرقين أو مموليهم " .[٣]

---

(١) المستشرقون وتشويه العقيدة . د / أحلام الصياد : ٣ / ٢٢٢٣ .

(٢) الإسكندنافية : إسكندنافيا أو إسكنديناوة (باللاتينية: Scandinavia) هي شبه جزيرة تقع في شمال قارة أوروبا وتتكون من الممالك التالية دنمارك، والنرويج، والسويد، وأحياناً تشمل دول أخرى مثل فنلندا وآيسلندا وجزر فارو وذلك للتقارب التاريخي والحضاري والعلاقات الثقافية التي تربط هذه الدول مع الدول الإسكندنافية الأساسية الدنمارك، والنرويج، والسويد. انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الإنترنت.

(٣) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل . د / إسماعيل على محمد . ص : ٨٢ . ط . دار الكلمة بالمنصورة . ط . الثالثة ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م

وكما اهتم المستشرقون بإصدار الموسوعات اهتموا كذلك بإصدار المعاجم اللغوية وغيرها ومنها : " المعاجم الدينية . المعاجم اللغوية .المعاجم العامة .

- أما المعاجم الدينية : فمنها ما هو مهتم بالآيات القرآنية مثل : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وبعضها اهتم بالحديث النبوي الشريف ، كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف .

- أما المعاجم اللغوية : فقد اهتم المستشرقون بإصدار بعض المعاجم اللغوية ومنها : تاريخ الأدب العربي – لكارل بروكلمان – وهو مشهور في الأوساط الأدبية واللغوية والعلوم الإسلامية

- أما المعاجم العامة : فقد اهتم بها المستشرقون – أيضاً – ومنها معجم (هوبلر الفرنسي) ١٦٢٥ – ١٦٩٥ م ، ومعجم الإسلام بالإنجليزية صدر في لندن عام ١٩٨٥ م ، وغيرها من المعاجم ."[1].

المطلــب الثانــي

إصــدار المجـلات حــول الإســلام وبـلاده وشـعوبه

من أهم المجلات التي يصدرها المستشرقون ما يلي :

المجلة الآسيوية ، مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية ، مجلة جمعية الدراسات الشرقية ، مجلة شئون الشرق الأوسط ، مجلة الشرق الأوسط ، ومن أخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكان (مجلة العالم الإسلامى) أنشأها

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره دراسة ونقد . د/ عمر إبراهيم رضوان : ١ / ٥١ – ٥٢ . ط . دار طيبة بالرياض . (د . ت) .

صمويل زويمرعام ١٩١١م ، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة العالم الإسلامي في روحها واتجاهها العدائي التبشيرى .[١]

- ويمكن حصر هذه المجلات في ثلاثة أنواع :

أ - "مجلات علمية إخبارية تحليلة في ظاهرها تتناول القضايا الفكرية من جانب ثقافي لتطرح عليه الشبهات ، وتظهره على صور تؤدي بالفكر الإسلامي إلى الشك والحيرة والتردد ، وهذا طابع وإن غلب عليه العلمانية فإنه يقصد هدم أصول الإسلام وإضعاف المسلمين .

ب - مجلات سياسية استعمارية تقصد بسط الفكر الاستعماري في الأمة العربية والإسلامية ، وتحاول أن تقيم دراساتها لتحقق هذا الغرض ،

جـ - المجلات التنصيرية : وهذه وإن كانت تقصد إلى ارتداد المسلمين وتنصير الوثنيين فإن أمريكا والدول الغربية لا تقصد تحقيق النصرانية إلا بقدر ما يعود عليها بالمصلحة القومية والنفع لأوطانهم ".[٢]

المطلـــب الثالـــث

عقـد المؤتمـرات الاســتشراقية:

لقد حرص المستشرقون حرصا شديدا على عقد المؤتمرات التى يتدارسون فيها كيفية تحسين خططهم وتطويرها وفق ما يستجد من ظروف جديدة في الوسط الذي

---

(١) الاستشراق والمستشرقون . د/ مصطفى السباعي . ص : ٣٥- ٣٦ .

(٢) في الغزو الفكري المفهوم – الوسائل – المحاولات . نذير حمدان . ص : ٢٥٦ . وانظر : وسائل الاستشراق . عبد الله عبد الرحمن الرومي . ص : ٢٧ – ٢٩ . (بدون) .

يعملون فيه ، وقد بدأت هذه المؤتمرات عام ١٨٧٣م ، وسأورد فيما يأتى قائمة بمؤتمرات المستشرقين العالمية (١) ، منذ عام ١٨٧٣م وحتى عام ١٩٩٧م ، تشتمل على : رقم المؤتمر ، ومكان انعقاده ، وتاريخ انعقاده بالهجري والميلادي .

مؤتمر رقم	مكان انعقاد المؤتمر	تاريخ انعقاده	
		هجري	ميلادي
١	باريس	١٢٩٠	١٨٧٣
٢	لندن	١٢٩١	١٨٧٤
٣	سان بيترسبورغ	١٢٩٣	١٨٧٦
٤	فلورانسا	١٢٩٥	١٨٧٨
٥	برلين	١٢٩٨	١٨٨١
٦	ليدن	١٣٠٠	١٨٨٣
٧	فيانا	١٣٠٤	١٨٨٦
٨	ستوكهولم وكريستيانا	١٣٠٧	١٨٨٩
٩	لندن	١٣١٠	١٨٩٢
١٠	جنيف	١٣١٢	١٨٩٤
١١	باريس	١٣١٥	١٨٩٧

(١) انظر : مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها – تكوينها – أهدافها . د/ محسن علي صالح سويسى : ١/ ٣ . (بدون) .

مؤتمر رقم	مكان انعقاد المؤتمر	تاريخ انعقاده	
		هجري	ميلادي
١٢	روما	١٣١٧	١٨٩٩
١٣	همبورغ	١٣٢٠	١٩٠٢
١٤	الجزائر	١٣٢٣	١٩٠٥
١٥	كوبنهاجن	١٣٢٦	١٩٠٨
١٦	أثينا	١٣٣٠	١٩١٢
١٧	أوكسفورد	١٣٤٧	١٩٢٨
١٨	ليدن	١٣٥٠	١٩٣١
١٩	روما	١٣٥٤	١٩٣٥
٢٠	بروكسيل	١٣٥٧	١٩٣٨
٢١	باريس	١٣٦٧	١٩٤٨
٢٢	إستانبول	١٣٧٠	١٩٥١
٢٣	كمبريدج	١٣٧٤	١٩٥٤
٢٤	ميونيخ	١٣٧٧	١٩٥٧
٢٥	موسكو	١٣٨٠	١٩٦٠
٢٦	نيودلهي	١٣٨٣	١٩٦٤
٢٧	آن آربور	١٣٨٧	١٩٦٧
٢٨	كانبيرا	١٣٩٠	١٩٧١
٢٩	باريس	١٣٩٣	١٩٧٣
٣٠	مكسيكو سيتي	١٣٩٦	١٩٧٦

مؤتمر رقم	مكان انعقاد المؤتمر	تاريخ انعقاده	
		هجري	ميلادي
٣١	طوكيو وكيوتو	١٤٠٣	١٩٨٣
٣٢	هامبورغ	١٤٠٦	١٩٨٦
٣٣	تورنتو	١٤١١	١٩٩٠
٣٤	هونج كونج	١٤١٣	١٩٩٣
٣٥	بودا بست	١٤١٨	١٩٩٧

المطلـــب الرابـــع
إنشـاء المتاحـف الشـرقية :

اعتنى المستشرقون بالسياحة كوسيلة لجمع المعلومات والصور الفوتوغرافية القديمة والآثار الشرقية ، والمخطوطات القديمة ، وأدوات التراث ، وقد اعتنوا بهذا الجانب كثيراً ليكونوا معالم تاريخية لتطور المنطقة ، ولمحاولة ربط الإسلام بجذور يونانية ، أو رومانية أو فينيقية أو آشورية ، وغير ذلك ، وكذلك لإثبات الجذور اليهودية أو النصرانية في المنطقة .(١)

وقد دفعوا في هذه الآثار الشيء الكثير ليصلوا بها لأغراض وأهداف خبيثة ، وأثاروا من ورائها نزاعات وفتناً في المنطقة ، وكذلك ليصفوا المجتمع بأوصاف من خيالهم السابح في الأوهام انطلاقاً من رواسب دفينة في نفوسهم ، والمؤسف أن هذه الكتب تكتب عادة بأسلوب تهكمي قصصي يغذي خيال الشعوب الغربية الأوروبية

(١) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره . د/ عمر إبراهيم رضوان : ١/ ٦٥ .

والأمريكية ويلبي رغباتهم ، ولهذه الكتب أثر سيئ في تصوير المسلمين تصويراً غير حقيقي كالتخلف والهمجية وغير ذلك ، ثم ينتهز المستشرقون هذا اللون من الكتابة ، فيدونون - باسم البحث العلمي - كتباً في علم الأجناس ، ونفسية الشعوب التي فيها ، مصورين أن الإسلام مختلف حسب هذه الأجناس فهناك إسلام الهند ، وإسلام تركيا ، وإسلام البربر ، وإسلام العرب ...إلخ ، وكل إسلام يختلف عن الآخر باختلاف أهله ... كل هذا ليتسلطوا على رقاب المسلمين بإشاعة الفرقة في نفوسهم.(١)

ومن هؤلاء الرحالة الذين زاروا بلاد الإسلام وكتبوا عنها بما يفيد الغربيين في التعرف على هذه البلاد ، البحار الإيطالي "لورفيشودي بارتيما" البحار الإيطالي الذي طاف اليمن عام ١٥٠٨م وكتب عنها تقريراً ضافياً .

وكذلك البعثة الدانمركية التي قامت بزيارة جنوب بلاد العرب عام ١٧١٦م . وقد رجعت هذه البعثة بخرائط ونقوش .

ومنهم (جورج والين- الفنلندي) الذي طاف مصر والجزيرة العربية وبغداد وأصبهان ، وبصرى ودمشق حوالي عام ١٨٤٠م ، واستمر أكثر من ست سنوات ، فكتب بذلك واصفاً رحلته ، ومؤلفاً كتاباً في الفروق بين اللهجات العربية بين المتأخرين والمتقدمين ، وكان ذلك عام ١٨٤٥م وغيرهم كثير. (٢)

---

(١) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي . د/ إبراهيم خليل ص : ٨٨ – ٩٠ .

(٢) المستشرقون . نجيب العقيقي : ٣/ ٣٣٩ – ٣٤٠.

المطلـــب الخـامس

إنشاء المؤسسات التعليمية وكراسي الدراسات العربية في الجامعات الغربية

اهتم المستشرقون بالمؤسسات التعليمية بأنواعها لتخريج جماعات من الطلبة تجيد اللغات الشرقية ، ومهيئين لتحمل المسئوليات التي ستلقى على عاتقهم تجاه الشرق وأهله ، وليكونوا عملاء للاستعمار في بلاد الإسلام ... ليكونوا أداة تقوض صرح البناء الإسلامي من جميع جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية ، وذلك لاتصالهم بالمسلمين فيوهمونهم بأنهم على معرفة تامة بأحوال الشرق وعلومه وعقائده ولغاته ، وهذا ما دأب عليه الاستشراق لتوهين قوى المسلمين ، وإيهامهم في كل مناسبة بأنهم ضعفاء ومتخاذلون في شتى الميادين .(١)

ومن الجدير بالذكر أن إنشاء المؤسسات التعليمية من أهم وسائل المستشرقين والمبشرين وأخطرها ، فقد حرصوا على إنشاء دور الحضانة والمدارس لجميع المراحل الدراسية ، والنهوض بتأسيس المعاهد والكليات وكراسي التدريس في الجامعات ، وتزويده بالمعلمين والأساتذة الأكاديميين كل ذلك لتحقيق أغراضهم.(٢)

وتتمثل خطورة هذه الوسيلة للأسباب الآتية :

١ - لا جدال أن مجال التعامل في المدارس والجامعات ، والاحتكاك المباشر والمستمر ، يعطي فرصة للحوار والجدال والمناقشة والإقناع ، فتمتد فترة الاتصال بين المعلم

---

(١) آراء المستشرقين حول القرآن . د/ عمر رضوان : ١ / ٥٦ .

(٢) انظر: الاستشراق والتنصير رؤية موضوعية. د/ محمد الزيني .ص: ٣٣٨- ٣٣٩. طبع مكتبة الضاري سلطنة عمان . ط . الأولى ٢٠١٠ م .

والطالب ، وتزويد مساحة الحوار من حيث المكان والزمان ، ليس هذا فحسب ، بل يكون اللقاء مستمراً بين جماعات الطلبة والمعلم الرائد المشرف عليهم ، ولا ريب أن هذا مجالاً خصباً للمستشرقين ليملوا على أبناء المسلمين ما يحلو لهم من أفكار من شأنها تضعف صلة المسلم بدينه .(1)

٢ – تعد هذه المراحل من الحضانة حتى الجامعة من أخطر المراحل في حياة الإنسان ، ففي هذه المراحل نكون بصدد بناء الشخصية وتكوينها العلمي ، وتحديد أبعادها الثقافية والنفسية وتشكيل أطرها العقلية ، وبذر بذور الفكر والمعتقدات والعادات والاتجاهات ، وغرس الآراء والأفكار التي تريد رعايتها وحراستها وتنميتها بعد ذلك . وهذا مجال خصب للمستشرقين يستطيعون من خلاله أن يشكلوا شخصية الطلاب من أبناء المسلمين ، وبذر بذور الشك من خلال ما يلقون عليهم من دروس ومحاضرات .(2)

٣ – يكون المستشرق في عمله بالمؤسسات التعليمية من المدرسة حتى الجامعة بمأمن من الرقباء ، فالطالب هو الذي قدم له بمحض إرادته ، وبموافقة ولي أمره الذي يعلم مسبقاً أن هذه المؤسسة التعليمية تدار بواسطة المستشرقين ، ومن ثم يتحرر المستشرق من المحاذير أو الرقابة الخارجية وينطلق بحرية تامة في تدريس ما يريد .(3)

وقد اتخذ المستشرقون التدريس في الجامعات الغربية والعربية والإسلامية وسيلة

---

(١) السابق . ص : ٣٣٩ (بتصرف) .

(٢) السابق . ص : ٣٤٠ (بتصرف) .

(٣) السابق . نفس الصفحة (بتصرف) .

ليحطموا في نفوس أبناء أمتنا كل عقائدهم ومقدساتهم . "[١]

ومن الأمثلة على هذا أن أحد المستشرقين الفرنسيين يسمى (دودييه) أسند إليه تدريس مادة (تاريخ المجتمع العربي) بالجامعة الأمريكية بالقاهرة في العام الدراسي ٩٧ / ١٩٩٨م ، وهي مادة تدرس لجميع الطلبة ، وقد أضاف إلى المقرر دراسة كتاب (محمد) للمستشرق الفرنسي " ماكسيم رودنسون" ، مترجماً إلى الإنجليزية، والكتاب يطفح بعبارات السوء والبهتان في حق رسول الإســـلام – صلى الله عليه وسلم– وقد كشف عن هذه الجريمة الكاتب صلاح منتصر في جريدة الأهرام ، وطالب بوقف الكتاب ... وقد أصدرت دار الإفتاء المصرية بياناً ردت فيه على بعض أكاذيب "رودنسون" في الكتاب المشار إليه ، ثم قالت في ختام البيان :

(وبدلاً أن يندس هذا الأستاذ (تقصد دودييه) بين جدران الجامعة الأمريكية ، وينفث سمومه بين طلاب ما زالوا في بداية حياتهم الدراسية ، وهم غير مؤهلين علمياً لمناقشته والرد عليه ، يجب عليه أن تكون لديه الشجاعة الأدبية ، ويبرز ليناقش أهل العلم والرأي القادرين على إفحامه وقطع لسان السوء عنده وعند من هم على شاكلته) "[٢]

وهكذا اتخذ المستشرقون من التعليم وسيلة للوصول إلى تحقيق مآربهم الخبيثة .

---

(١) الوجه الآخر لطه حسين . أ / أنور الجندي . ص : ٩ ط. دار الاعتصام بالقاهرة (د. ت).

(٢) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل . د/ إسماعيل علي محمد. ص: ٩٧-٩٨ .وانظر : الاستشراق . د/ مصطفى السباعي : ٦٣ – ٧٧ .

الخاتمة

الحمد لله تقدست أسماؤه ، وعز جاهه ، وكثر عطاؤه ، وعم نواله ، فهو المحمود على كل حال ، وبعد :فقد وفقني الله تعالى لإتمام هذا البحث ، الذى قمت فيه بتناول مفهوم الاستشراق ، وتاريخ نشأته والمراحل التي مر بها ، كما تناولت أبرز دوافعه وأهدافه ، ثم ختمت ببيان وسائله ، وقد وقفت فى هذا البحث على عدد من النتائج والتوصيات وهذا بيانها

أولا : النتائج : من النتائج التي وقفت عليها ما يلي :

١ - أن الاستشراق في دراسته للإسلام – في الأعم الأغلب – ليس علماً بأي مقياس علمي، وإنما هوه عبارة عن "أيديولوجية " خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام ، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات كما هو الأعم الأغلب .

٢ - أن ظهور الاستشراق كحركة منظمة لها مناهجها ووسائلها وأساليبها ومؤسساتها ورجالها . قد بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي ، عندما بدأ الغرب باستعمار العالم الإسلامي .

٣ - استطاع الاستشراق أن يقوم بدوره خير قيام في خدمة السياسة الاستعمارية ، وتوطدت العلاقة بينهما حتى أصبح الاستشراق يمثل الطريق العلمي لاحتلال الشعوب الإسلامية .

٤ - تنوعت دوافع الاستشراق وأبرز هذه الدوافع الدافع الديني، والهدف من هذا

الدافع هو إخراج المسلمين من دينهم ، فإن أمكن تنصيرهم فذاك ، وإلا فإبقاؤهم لا دين لهم مطلقاً هدف مرجو يحقق للمستشرقين منافع ومصالح سياسية واقتصادية واستعمارية وغير ذلك.

٥ - سلك المستشرقون كل سبيل من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافهم ، وقد تنوعت وسائلهم .

ثانيا : التوصيات :

من التوصيات التي خرج بها البحث : أنه يجب علينا حماية لعقيدتنا ووجودنا ونصرة لديننا أن نعمل وفق تخطيط علمي مدروس لمناهضة الاستشراق والحيلولة بينه وبين ما يريده بنا .

والحمد لله في بدء وفي ختم

فـــهـــرس الموضوعات